# اثـر مضيقي البسفور والدردنيل في تغييـر الموقف البريـطاني من الحرب الروسـية- العثمانية ١٨٧٧- ١٨٧٨

الدكتور احمد ناطق إبراهيم
كلية الآداب/ جامعة بغداد

**ملخص البحث**

امتاز الوضع الدولي في القارة الأوربية بعد مؤتمر باريس ١٨٥٦، وحتى اندلاع الحرب الروسية- العثمانية( ١٨٧٧-١٨٧٨) بالتردي، إذ نشبت خلال تلك الحقبة أزمات وثورات وحروب عدة تباينت أسبابها، فقسم منها كانت استعمارية، وأخرى لأسباب قومية، ومثلت منطقة البلقان العثمانية احد اخطر بؤر التوتر في القارة الأوربية، فقد أصبحت مسألة بقاء الدولة العثمانية ومناطقها المترامية الأطراف خلال وبعد تلك الحرب، من اعقد الإشكاليات في سياسات رجالات الدبلوماسية للقوى الأوربية.

أن هذا البحث هو دراسة عن السياسية التي اتبعتها الحكومة البريطانية تجاه إحداث الحرب الروسية- العثمانية، منذ إعلان روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية في التاسع عشر من نيسان ١٨٧٧، وحتى توقيع الطرفين المتقاتلين لمعاهدة سان ستيفانو San Stefano، في الثالث من آذار ١٨٧٨. والنقطة الرئيسة التي يدور حولها هذا البحث هو: ما رد الفعل البريطاني تجاه تقدم القوات الروسية من العاصمة اسطنبول ومنطقة المضائق العثمانية (البسفور والدردنيل)؟ ولتوضيح هذه النقطة المركزية تثار نقاط عدة: إلى أي مدى نجحت الدبلوماسية الروسية في تحييد الجانب البريطاني؟ ثم لماذا تغير الموقف البريطاني من الحياد إلى التصعيد؟ هل حافظت واحترمت الحكومة البريطانية المعاهدات والاتفاقيات ذات الصلة بمسألة المضائق؟ لماذا رفضت بريطانيا

هدنة السلام الروسية– العثمانية؟ وما الأسباب التي دفعتها بإدخال سفنها الحربية في مضيق الدردنيل؟ وما أهدافها من ذلك؟ ثم ما رد فعل الحكومة الروسية تجاه ذلك؟ واخيراً كيف تصرفت الحكومة العثمانية في ظل ضعفها وانهيار قواتها؟

**Issue Abstract**

RPR international situation in the European continent after Paris 1856 conference, and until the outbreak of war, Russian-Ottoman (1877-1878) degradation, since cropped up during that era crises and revolutions and wars of several varied causes, he divided them was a colonial, and other national reasons, and represented the Balkans Ottoman one the most dangerous flashpoints in the European continent, it has become a matter of survival of the Ottoman Empire and its regions sprawling during and after the war, of the most complex problems in men of European diplomatic powers policies.

That this research is to study the political pursued by the British government to bring the war Russian-Ottoman, since the announcement of Russia's war against the Ottoman Empire in the nineteenth of April 1877, and until the parties sign the combatants of the Treaty of San Stefano San Stefano, on the third of March, 1878. The point the President around which this research is: what the British reaction to the progress of Russian troops from the capital Istanbul and the Ottoman Straits (the Bosporus and the Dardanelles)? To illustrate this central point raised several points: the extent to which Russian diplomacy in neutralizing the British side has succeeded? Then why the British position changed from neutral to escalation? Is the British government maintained and respected the treaties and agreements related to the question of the Straits? Why Britain refused truce peace Russian- Ottoman? The reason for doing the introduction of its warships in the Strait of Dardanelles? The objectives of this? Then what the reaction of the Russian government towards this? And finally how the Ottoman government had acted under the weakness and collapse of the troops?



## المقدمة

انتفض فلاحوا الهرسك في تموز ١٨٧٥[١]، بسبب سوء الإدارة العثمانية[٢]، لاسيما تعسف الملتزمين وإصرارهم على جباية ما بذمة المزارعين من ضرائب ورسوم متراكمة[٣]. وبحلول كانون الأول من العام نفسه انضمت صربيا والبوسنة والجبل الأسود إلى تلك الانتفاضة[٤]. وجلبت تلك الأحداث انتباه الدول الكبرى، لاسيما روسيا التي دأبت على استغلال مثل تلك الاضطرابات وتسخيرها من اجل تحقيق أهدفها في السيطرة على البلقان مما يمكنها من إحكام قبضتها على مضيقي البسفور والدردنيل، والعاصمة العثمانية اسطنبول[٥].

ومهما يكن من أمر، فقد نشطت الدبلوماسية الأوربية لإيجاد حل لتلك الأزمة، وطرحت خيارات عدة لعل من أهمها ما اقترحه الكونت جيولا أندراسيCount Gyula Andrássy وزير خارجية النمسا- المجر (١٨٧١- ١٨٧٩)[٦]، في الثلاثين من كانون الأول ١٨٧٥في مذكرته، التي أخفقت في تهدئة الوضع في المناطق المنتفضة بسبب رفضهم لبنود المذكرة[٧]. وحينما أزدادت الأزمة تعقيدا اقترح المستشار الألماني اوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck (١٨٧١-١٨٩٠)[٨]، مشروعه الخاص لتقسيم الدولة العثمانية[٩]، إلا أن المقترح رفض بشدة من جانب بريطانيا، ويبدو أن بنيامين دزريلي[١٠] Benjamin Disraeli رئيس الوزراء البريطاني (شباط ١٨٧٤- نيسان ١٨٨٠)[١١] استصغر العرض الذي قدمه المستشار بسمارك بحصول بريطانيا على مصر فقط مقابل حصول روسيا على العاصمة العثمانية ومضيقي البسفور والدرنيل وبان القسمة الألمانية ضيزى إذ قال:

" إذا حصل الروس على القسطنطينية، عندها
سيتمكنون وفي أي وقت من الوصول إلى

سورية ووادي النيل، وعند ذلك ما الجدوى في أخذ الانكليز لمصر، إذ لا تستطيع قواتنا تعزيز مركزها في مثل هكذا موقف... أن الذين يتكلمون بهذا الأسلوب لا يفقهون الجغرافية. القسطنطينية ليست كمصر ولا الدردنيل كقناة السويس، بماذا يمكن المقارنة؟ أنهما مفاتيح الطريق إلى الهند!"(١٢).

كان من الواضح، الأهمية الإستراتيجية للمضائق العثمانية (البسفور والدردنيل) في عقلية النخبة السياسية البريطانية، لذا لن يتوانى دزريلي في نعت من يساوم على البسفور والدردنيل بالجاهل جغرافياً، والحق تكمن أهمية المضائق بكونها تشرف على طرق المواصلات البريطانية إلى الهند.

## إعلان روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية

أخذت تداعيات انتفاضة البوسنة بعداً خطيراً بعد إخفاق مؤتمر اسطنبول(١٣)، (١١ كانون الأول ١٨٧٦- ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)(١٤)، إذ بدأت طبول الحرب في العاصمة الروسية تقرع، بل أن جميع الاستعدادات العسكرية والسياسية لإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية اتخذت حتى قبل انعقاد مؤتمر اسطنبول، وأمر القيصر الكسندر الثاني Alexander II (١٨١٨- ١٨٨١/ ١٨٥٥- ١٨٨١)(١٥)، في الثالث من تشرين الثاني ١٨٧٧، نقل ستة فرق عسكرية وتحشيدها عند الحدود العثمانية(١٦)، كما قامت الحكومة الروسية في الشهر نفسه بتدريب (٧٥٠٠) رجل من المهاجرين إليها من سلاف الدولة العثمانية بهدف القيام بعمليات عسكرية ضد خطوط إمدادات الجيش العثماني وقطعاته الخلفية(١٧).

أما على صعيد السياسة الخارجية، فكان ضمان حياد النمسا- المجر من أهم أولويات السياسة الخارجية الروسية، إذ دخل يفغيني نوفيكوف

Yevgeny Novikov، السفير الروسي في فيينا(آذار ١٨٧٤- تشرين الثاني ١٨٧٩)[١٨]، في مفاوضات مع الكونت أندراسي Count Andrássy، وزير خارجية النمسا- المجر(١٨٧١- ١٨٧٩) [١٩]، منذ تشرين الثاني ١٨٧٦، أثمرت عن توقيع ما عُرف بمواثيق بودابست Budapest Convention في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٧، التي أضيفت إليها بنود أخرى في الثامن عشر من آذار من العام نفسه [٢٠]، وحصلت النمسا- المجر بموجب ذلك الاتفاق على موافقة روسيا بضمها للبوسنة والهرسك مقابل التزامها بالحياد الودي في أي حرب روسية- عثمانية، ولن تستجيب لمناشدات العثمانيين في تفعيل معاهدة الضمان الثلاثية المنعقدة في الخامس عشر من نيسان ١٨٥٦[٢١]، التي ألزمت بموجبها بالدفاع عن الدولة العثمانية مع كل من فرنسا وبريطانيا.

فضلاً عن ذلك، عقدت روسيا ورومانيا اتفاقية عسكرية سرية ضد الدولة العثمانية في السادس عشر من نيسان ١٨٧٧، سمح بموجبها الأمير كارول الأول Carol I، (١٨٣٩-١٩١٤/ ١٨٦٦-١٨٨١)[٢٢]، بمرور القوات الروسية عبر الأراضي الرومانية (ولاشيا ومولدافيا)[٢٣]، كما تنازل عن إقليم بساربيا لصالح روسيا، وهذا يعني أن روسيا ستحصل على مصب نهر الدانوب مجدداً بعد أن طُرِدت منه بموجب معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، وفي المقابل تعهد القيصر ضمان تحقيق الاستقلال التام لرومانيا[٢٤]. وبذلك كان هذا الحلف بمثابة الحلقة الأخيرة في سلسلة الاستعدادات الروسية، وباتت الجيوش الروسية وحلفائها من الشعوب السلافية على أهبة الاستعداد وهي تترقب ساعة الصفر وانطلاق الشرارة الأولى للحرب.

أرسل الأمير غورجاكوف Prince Gorchakov وزير الخارجية الروسي[٢٥] مذكرة إلى جميع الحكومات الأوربية في التاسع عشر من نيسان ١٨٧٧، أعلن فيها بان بلاده قررت إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، وأوضح في المذكرة بان الإجراء الروسي جاء بعد فشل الجهود الدبلوماسية لتسوية الأزمة، محملاً في الوقت نفسه الحكومة العثمانية المسؤولية الكاملة عن إشعال فتيل الحرب قائلاً: " بما أن كل الجهود قد فشلت في تسوية الأزمة،

وعليه فليس هناك من خيار سوى استخدام القوة والأساليب القسرية لإرغام الحكومة العثمانية للموافقة على مقترحات القوى الأوربية "، وأخيراً دعا في ختام مذكرته الدول الكبرى للانضمام إلى الجهود الروسية من اجل تحقيق هذه الغاية [٢٦]، وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه، عبرت القوات الروسية الحدود العثمانية[٢٧]، وبذلك انطلقت شرارة الحرب العاشرة في سلسلة الحروب الروسية- العثمانية[٢٨].

في تلك الاثناء، كانت الدولة العثمانية في وضع لا تحسد عليه، فقد تزامن إعلان روسيا الحرب، وقبل ذلك أحداث انتفاضة الشعوب البلقانية (١٨٧٥- ١٨٧٧)، مع الوضع المالي المنهار، فقد كانت الحكومة العثمانية عاجزة عن دفع رواتب العاملين في أجهزتها، وبعبارة أدق، كان الوضع المالي للدولة العثمانية على شفى الإفلاس الوطني[٢٩]، لذا أرسلت الحكومة العثمانية في الرابع والعشرين من نيسان ١٨٧٧، مذكرة جماعية إلى الدول الأوربية الموقعة على معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، دعتها للتدخل، لاسيما أن هذا طلبها ينسجم مع الفقرة الثامنة من المعاهدة المذكورة[٣٠].

فضلا عن ذلك، قدمت الحكومة العثمانية في اليوم التالي، احتجاجاً رسمياً لدى الدول الموقعة على المعاهدة المذكورة آنفاً، ضد روسيا لإعلانها الحرب وغزوها لأراضيها[٣١]، ويبدو أن رد فعل الحكومة البريطانية تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية لم يكن بمستوى الحدث، إذ اقتصر موقفها الرسمي الأول على تقديم مذكرة للاحتجاج والرفض، إذ تمثل بإرسال اللورد دربي برسالة احتجاج في الأول من أيار ١٨٧٧، التي بعثها من خلال اللورد اوغسطس لوفتوس Lord Augustus Loftus، السفير البريطاني في سان بطرسبورغ (١٨٧١-١٨٧٩)[٣٢]، إلى الحكومة الروسية، أوضح فيها بان غزو القوات الروسية للأراضي العثمانية يعد انتهاكاً للمعاهدات الدولية لاسيما معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، التي تعد روسيا احد الموقعين عليها[٣٣]، التي نصت على احترام استقلال الدولة العثمانية ووحدة أراضيها، كما يتعارض مع ديباجة معاهدة لندن لعام ١٨٧١، التي بموجبها ألزمت روسيا نفسها مع بقية القوى

الأوربية الكبرى، بـــــ: "اعتراف القوى بان المبدأ الأســـاس للقـــانون الـــدولي، الذي لا يمكن لأي قوة أن تحرر نفسها من الالتزامات أو تعديل الشروط ما لـــم توافق بقية الأطراف الموقعة من خلال اتفاقية ودية "(٣٤).

ثمة تساؤلات تفرض نفسها هنا: إذا كان رد الفعـــل البريطـــاني تجـــاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية يمكن وصفه بالفاتر! فلماذا تغيـــر الموقـــف البريطاني فيما بعد؟ والى أي مدى أثرت تـــداعيات مســـألة مضـــيقا البســـفور والدردنيل في ذلك التغيير؟.

في الواقع، قبل الإجابة على تلك التســـاؤلات ينبغـــي التعـــرف علـــى تطورات الموقف العسكري لجبهات القتال الروسية- العثمانية، لاسيما أن تغيـــر الموقف البريطاني، وتصاعد حدته تجاه الحكومة الروسية ارتبط ارتباطاً وثيقـــاً بالانتصارات الروسية ومدى اقتراب قواتها من العاصـــمة العثمانيـــة ومنطقـــة المضائق.

نظراً لافتقار روسيا للتفوق البحري في البحر الأسود، قـــررت قيـــادة الجيش الروسي أن تكون الحملة برية، وكانت الخطة كالتالي أن يبـــدأ الجـــيش تحركه من بسارابيا إلى مولدافيا وبعد عبور القوات لنهر الـــدانوب يـــتم غـــزو بلغاريا ومن ثم متابعة السير عبر سلسلة جبال البلقـــان وصـــولا إلـــى منطقـــة المضائق والعاصمة العثمانية(٣٥)، هذا وأنيطت قيادة الحملـــة بشـــقيق القيصـــر الدوق نيكولاس(٣٦).

عبرت القوات الروسية نهر بـــروث(٣٧)، الـــذي مثـــل خـــط الحـــدود العثمانية- الروسية، في الرابع والعشرين من نيسان ١٨٧٧(٣٨)، وبعد شـــهر أي في الرابع والعشرين من أيار وصلت ضفاف نهر الدانوب، وحدد يوم الســـادس من حزيران من العام نفسه موعداً لعبور القـــوات الروســـية للـــدانوب، إلا أن ارتفاع مناسيب النهر قد أخر الموعـــد، وفـــي غضـــون ذلـــك، جـــرت أولـــى الاشتباكات البحرية، فقد امتلكت الدولة العثمانية قوات بحرية في الدانوب وكـــان بإمكانها تكبيد القوات الروسية أثناء عبورها للـــدانوب خســـائر جســـيمة، إلا أن إرسال القوات الرومانية، لعدد من عناصرها لزراعـــة الألغـــام البحريـــة فـــي

الدانوب[٣٩]، أدى إلى إغلاق النهر أمام الطرادات والزوارق العثمانية[٤٠]، الأمر الذي أتاح عبور آمن للقوات الروسية التي بدأت عبورها في السابع والعشـرين من حزيران ١٨٧٧[٤١]، وقد أنهت عبورها في الثلاثين من الشهر نفسه[٤٢].

وفي سياق الحديث عن تداعيات الإعلان الروسي للحرب ضد الدولـة العثمانية، عُدت الحكومة الروسية، في الواقع، مهمة وصول القـوات الروسـية على وجه السرعة إلى منطقة المضائق مهمتها الرئيسة، لأنها وضـعت تقيمـاً صحيحاً للموقف الأوربي تجاه غزوها للأراضي العثمانية، وان بريطانيا تمثـل الخطر الحقيقي في هذه الحرب لأنها القوة الأكثر اهتمامـاً بمصـير مضـيقي البسفور والدردنيل والعاصمة العثمانية، بعبارة أخرى أن بريطانيا هـي القـوة الوحيدة المحتملة التي يمكنها أن تنظم تحالفاً مناهضاً لروسـيا[٤٣]، وأن بإمكـان الأسطول البريطاني دخول البحر الأسود من خلال مضيقي الدردنيل والبسـفور بهدف مهاجمة المدن الساحلية المطلة عليه، لذلك وضعت هيئة الأركان الروسية تلك الاحتمالات في حساباتها، لذا تميزت المرحلة الثانية من العمليات العسكرية التي افتتحت بعد عبور الدانوب بغزو بلغاريا وبشراسة القتال من اجل السـيطرة على الممرات والطرق الحيوية في سلسلة جبال البلقان[٤٤]. لاسـيما أن سـقوط تلك الممرات سيسهل مهمة احتلالها للعاصمة العثمانية[٤٥]، ومن ثـم الوصـول إلى منطقة المضائق بهدف نصب بطاريات المدافع على طول ضـفتي مضـيق الدردنيل مما سيحول دون دخول الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود.

مما تقدم، كان على الدوق نيكولاس القائد العام للجيش الروسـي فـي البلقان تقسيم جيشه على فيلقين، الأول ومهمته احتلال الممـرات الجبليـة فـي سلسلة جبال البلقان، لاسيما ممر بليفنا plevna، بهدف تأمين خطوط الإمدادات للقوات المهاجمة في الفيلق الثاني الذي كانت مهمته التقـدم صـوب العاصـمة العثمانية اسطنبول[٤٦].

قاوم العثمانيون بضراوة من أجل الحفاظ على ذلك الممر الحيوي، فبعد أن الحق الجيش العثماني هزيمتين بالجيش الروسي في موقعة بليفنا[٤٧]، لم تعـد الحكومة الروسية تنظر إلى المساعدة الرومانية بشكل مختلف فحسب، بل أنهـا

بدأت تعول عليها، ففي التاسع والعشرين من آب ١٨٧٧، زار الأمير الروماني كارول الأول، القيصر الكسندر الثاني الذي كان في حينها يزور مواقع الجيش[٤٨]، وتم الاتفاق بان ترسل رومانيا قوات قوامها ثلاثين ألف جندي، وان يتولى الأمير كارول قيادة الجناح الغربي للجيش الروسي[٤٩]، وفي الحادي عشر من أيلول من العام نفسه حدث الهجوم الثالث على بليفنا، ومع أن الهجوم كان أوسع من الهجوميين السابقين، إلا أن نتيجته كانت الفشل أيضاً، إذ خسر الروس خمسة عشر ألف جندي في حين خسر الرومانيين ثلاثة ألاف جندي[٥٠].

عقد القيصر الكسندر الثاني اجتماعاً لمجلس الحرب في الثالث عشر من أيلول ١٨٧٧، لدراسة الأسباب التي أدت إلى الهزائم العسكرية، وبعد مناقشات مستفيضة لكبار قادة جيشه أيقن القيصر أخيراً باستحالة اختراق الدفاعات العثمانية، لاسيما أن إخفاق الهجوم القادم ربما يقود إلى نتائج كارثية على الجيوش الروسية، لذا تم التوصل في اليوم التالي لقرار التخلي عن فكرة أي هجوم آخر على بليفنا والاكتفاء بحصارها[٥١].

استندت الخطة التي وضعها مجلس الحرب أساساً على فرض طوق الحصار على القوات العثمانية في بليفنا[٥٢] من خلال جلب المزيد من القطعات العسكرية بهدف إحكام السيطرة على طرق إمدادات الجيش العثماني، ولاسيما طريق بليفنا- صوفيا الذي مثل الشريان الوحيد لإمداد القوات العثمانية المحاصرة، ومع إطلالة فجر يوم العاشر من كانون الأول قام عثمان باشا قائد القوات العثمانية بهجوم يائس حاول فيه كسر الحصار واختراق الخطوط الروسية الأمامية[٥٣]، وقد نجح في بادئ الأمر، ولكن بحلول ظهر اليوم نفسه وصلت تعزيزات الجيش الروسي مما اجبر القوات العثمانية على التقهقر والتراجع إلى داخل المدينة مرة أخرى، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على المدينة فدخلتها الجيوش الروسية والرومانية، وتم اسر جميع عناصر الجيش العثماني المكون من عشر بشوات، وألفان ومائة وثلاثون ضابط، وواحد وأربعون ألف ومائتي جندي[٥٤].

أوضح "الانهيار الكارثي " للقوات العثمانية أمـــام الجيـــوش الروســـية وحلفائهم عقم الإجراءات العثمانية الخاصة بتأمين مســـتلزمات الحـــرب وفـــي مقدمتها مسائل التموين في الأرزاق والذخائر والانسحاب وفق خطة مدروســـة، مما وضع الجيش العثماني المتراجع في موقف صعب للغايـــة. لقـــد أدت تلـــك "الكارثة العسكرية " إلى التأثير سلباً في الرأي العام والحكومة العثمانية، وظهـــر جلياً بأن معظم القوات العثمانية كانت في وضع ميؤس منـــه، لهـــذا تقهقـــرت صوب سلسلة جبال البلقان وهي بحالة يرثى لها. وبما أن فصل الشتاء قد حـــل وغطت الثلوج جبال البلقان، فقد كان من المتوقع أن تتوقف العمليـــات القتاليـــة حتى حلول الربيع(٥٥)، غير أن القيصر اثر مواصلة التقـــدم صـــوب العاصـــمة اسطنبول واستغلال حالة الانكسار لدى الجيش العثماني.

ومهما يكن من أمر، فقد عبر الروس وحلفائهم سلسلة جبـــال البلقـــان، واحتلوا صوفيا في الثالث من كانون الثاني ١٨٧٨، وفي الثاني والعشرين مـــن الشهر نفسه دخلت القوات الروسية وحلفائها مدينة ادريانبول مـــن دون مقاومـــة تذكر(٥٦)، وبذا أصبحت العاصمة اسطنبول تحت رحمة تلك القـــوات، وحينمـــا بدأت المفاوضات بشأن الهدنة، شعر الروس بان العثمانيين يرفضون مطـــالبهم، صدرت الأوامر للقوات الروسية للتقدم صوب اسطنبول(٥٧)، كان من الواضـــح أن هذا القرار قد ساهم بوضع حدٍ للحرب، فبعد يومين من المفاوضات الصعبة في قرية تكورلو Tchorlu، في ادريانبول، تم التوقيع أخيراً على الهدنـــة فـــي الحادي والثلاثين من كانون الثاني من العام نفسه(٥٨).

## رد الفعل البريطاني تجاه تقدم القوات الروسية من العاصمة العثمانية

رَبحَ الروس الحرب من الناحية العسكرية، ولم يبق لهم ســـوى كســـبها في الحقل الدبلوماسي، الذي عَد الأصعب في ضوء تغيـــر الموقـــف الأوربـــي، لاسيما البريطاني. فعلى الرغم من أن رد فعل الحكومة البريطانية تجاه الغـــزو الروسي للأراضي العثمانية كان فاتراً، إلا إنه كان "حازماً" تجاه مسألة مصـــير منطقة المضائق والعاصمة اسطنبول، اللتان احتلتا مركزاً رئيساً فـــي أولويـــات الدبلوماسيين ورجالات الدولة البريطانيين(٥٩)، ففي السادس مـــن أيـــار ١٨٧٧،

استدعى اللورد دربي وزير الخارجية البريطانية، شوفالوف السفير الروسي في لندن[٦٠]، وسلمه مذكرة إلى الحكومة الروسية حذرها فيها من مغبة المساس بالمصالح البريطانية في الشرق ( الدولة العثمانية)، "وبأنه إذا ما تعرضت للخطر فان حكومة صاحبة الجلالة لن تتورع عن القيام بأي عمل لحمايتها، لاسيما تلك المصالح المتعلقة بقناة السويس، التي يجب أن تبقى مفتوحة للملاحة لأنها الطريق المثالي للمواصلات بين أوربا والشرق"[٦١].

وفيما يتعلق بالعاصمة العثمانية ومنطقة المضائق، فقد كانت صيغة التحذير البريطاني صريحة وواضحة، إذ جاء فيها:

" أن طبيعة وأهمية القسطنطينية من وجهة النظر السياسية والعسكرية والتجارية واضحة جداً ولا تحتاج لتفسير، ولهذا فلا نحتاج للقول بان حكومة صاحبة الجلالة غير مستعدة للوقوف مكتوفة الأيدي وهي ترى بان مُلاكها قد تغيروا. لذا ترى حكومة جلالتها بان التشريع الحالي المتعلق بمضيقي البسفور والدردنيل، الذي انبثق بموجب القانون الأوربي حكيم وعادل، ولهذا فهي ستعترض بشدة إذا ما حدث أي تغيير أو تعديل فيه"[٦٢].

فضلا عن ذلك، تطرق اللورد دربي في المذكرة نفسها إلى أهمية الخليج العربي بالنسبة للمصالح البريطانية، لذا جاء التحذير على وفق التالي: " أن حكومة جلالتها تأمل بان تقتصر الأعمال العدائية على مناطق محدودة بحيث يمكن الحفاظ على الحياد البريطاني". وفي ختام المذكرة ذكرت الحكومة الروسية بالوعود التي قطعها القيصر الروسي بشان عدم نيته لاحتلال اسطنبول، أو حتى البقاء بشكل دائم في بلغاريا[٦٣]. لأنها الولاية الأوربية الأكثر قرباً إلى العاصمة العثمانية وهذا يشكل تهديداً فعلياً لمنطقة المضائق.

مما تقدم يتبين أن ما كان يؤرق الحكومة البريطانية عند اندلاع الحرب الروسية العثمانية هو التعرض لطرق مواصلاتها البحرية.

لم يكن لدى الكونت شوفالوف Count Shuvalov السفير الروسي في لندن (١٨٧٤- ١٧٧٩)[٦٤]، أي تصور بشان الخطط العسكرية لبلاده، ومع ذلك حاول بوصفه دبلوماسياً أن يزرع بعض الاطمئنان عند الجانب البريطاني، إذ اظهر لدربي تفهماً بشان قلق الحكومة البريطانية على مصالحها المذكورة[٦٥].

الراجح ان غورجاكوف وزير الخارجية الروسي كان مطلعاً على تطور موقف الرأي العام البريطاني تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية، ومدى تداعياته على الموقف الرسمي للحكومة البريطانية من خلال سفيره في لندن، إذ كان يمده بموقف تفصيلي عما ينشر في الصحف البريطانية من انتقادات لاذعة لحكومة دزرائلي، وبأنها غير مكترثة بالمصالح البريطانية العليا[٦٦]، ولعل غورجاكوف قد وضع تصوراً صحيحاً للموقف البريطاني من الإحداث، فمن الممكن أن يتكرر سيناريو حرب القرم وترغم الضغوط الشعبية حكومة دزرائيلي على إعلان الحرب ضد روسيا مثلما فعلت مع حكومة ابردين (كانون الأول ١٨٥٢- كانون الثاني ١٨٥٥)[٦٧] في حرب القرم ١٨٥٤- ١٨٥٦، وربما وضعت تلك الاعتبارات في حساباته حينما صاغ إجابته في الثلاثين من أيار ١٨٧٧، إذ أوضح فيها بان "روسيا ليس بنيتها تهديد قناة السويس أو مصر على الرغم من كونهما جزء من الدولة العثمانية أو أن تمتد عملياتها العسكرية نحو الخليج العربي والطريق المؤدي إلى الهند"[٦٨]، وبذا حسمت تماماً مسألة التهديد الروسي لمنطقة الخليج العربي وقناة السويس بعد أن ألزمت روسيا نفسها بعدم التعرض لهما.

وقدر تعلق الأمر بمصير العاصمة العثمانية فان التعهد الذي قدمه غورجاكوف لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية، على الرغم من إعلانه بأنه لا توجد أي خطة لاحتلالها فقد جاءت أجابته بأسلوب دبلوماسي تحتمل تفسيرات عدة، إذ قال: " إن توقع مسار الحرب صعب الآن إلا أن القيصر أبعدها [ اسطنبول]

تماما عما ينوي تحقيقه"، ثم استطرد قائلاً: " إن مصيرها [اسطنبول] مهم لجميع الدول ولا يمكن تسويته إلا باتفاق دولي وتفاهم مشترك، وان ملكيتهـــا لا يمكـــن أن تكون لأي قوة أوربية "(٦٩).

أما مستقبل مضيقي البسفور والدردنيل، فقد أوضح بان كلتا ســـواحلهما تعودان للسلطان نفسه، إلا إنهما يشكلان المخرج الوحيد لبحرين عظيمين ينفـــع العالم كله، ولهذا فمن الضروري أن تتم تسوية الموضوع علـــى وفـــق اتفاقيـــة مشتركة على أساس ضمانات واضحة يحصل بموجبها الجميع فرص متســـاوية (٧٠). والأهم من كل ذلك، أن غورجاكوف أرفق إجابته برسالة سرية وشخصية إلى سفيره في لندن تضمنت معلومات عسكرية تؤكد وجود مخطـــط لاحـــتلال العاصمة العثمانية (٧١).

صحيح أن سريرة سفراء الدول الكبرى تحوي الكثيـــر مـــن الأســـرار المطوية!! لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنـــا: مـــا الموجبـــات التـــي دفعـــت غورجاكوف لكشفه لسفيره في لندن معلومات عسكرية غاية في الخطورة ؟

كانت الدبلوماسية الروسية محبكة من خلال التنسيق العالي بين وزيـــر الخارجية وسفيره في لندن، فقد تعمد غورجاكوف من جانبه تظليـــل الحكومـــة البريطانية بقوله أن القيصر أبعد العاصمة العثمانية عما ينـــوي تحقيقـــه، وهـــذا اعتراف واضح وصريح بعدم وجود خطة عسكرية لدى روسيا، أو حتـــى نيـــة لاحتلال اسطنبول، وبذلك يتم تهدئة المخاوف البريطانية. لكن من جانب آخـــر، كان على السفير الروسي وفقاً لتعليمات غورجاكوف الســـرية أن يلمـــح إلـــى الحكومة البريطانية بأن ظروف الحرب ربما تحـــتم علـــى القـــوات الروســـية الاقتراب من ضواحي اسطنبول(٧٢).

لذا صاغ السفير الروسي من جانبهِ مذكرة أخرى أرفقهـــا مـــع إجابـــة وزير الخارجية الروسية أعلاه، وسلمها إلى وزير الخارجيـــة البريطـــاني فـــي الثامن من حزيران ١٨٧٧(٧٣)، ذكر فيها:" إن تأكيداتنا بخصوص القســـطنطينية تُفصح عن عدم احتلالنا للمدينة بشكل دائمي، وبما أن ظـــروف الحـــرب غيـــر

متوقعة، وعليه يمكن أن نزحف حتى أسوار العاصمة. وربما سيقوم الأتراك بإطالة أمد الحرب إذا ما علموا بوجود ضمانة وحصانة بشأن عاصمتهم"(٧٤).

هذا وحذر شوفالوف، الحكومة البريطانية في المذكرة نفسها من مغبة التدخل لصالح العثمانيين، الذي من شأنه أن يقود إلى تعقيدات خطيرة، فقد تضطر القوات الروسية على أثره باحتلال اسطنبول إذ قال: " لابد لانكلترا والقوى السياسية أن تساندنا وتَفهم الأتراك أن من سينقذ القسطنطينية ليس التدخل الخارجي، وإذا لم يحصل التدخل فإن عاصمتهم لن تضيع، وهو ما يجعلنا غير مضطرين لاحتلال المدينة"(٧٥). وهكذا رمى السفير الروسي الكرة في ملعب الحكومة البريطانية.

اغلب الظن وجدت الحكومة العثمانية نفسها في شتاء عامي ١٨٧٧-١٨٧٨، عالقة بين طموحات وأهداف كل من روسيا وبريطانيا، فلم تكن الدولة العثمانية وفقاً لمصالح هاتين القوتين سوى آلة في لعبتهما الدبلوماسية، إذ لم تواجه الحكومة العثمانية خلال تلك المدة خطر الغزو الروسي الشامل لأراضيها فحسب، بل كان عليها أن تواجه إشكالية اضطراب السياسة البريطانية، التي قد يكون لها عواقب خطيرة على مصير الدولة العثمانية، فقد كانت الحكومة العثمانية يحذوها الأمل بحدوث تدخل بريطاني لصالحها، سواء أكان عسكريا أم على اقل تقدير أنّ تسلط بريطانيا ضغطاً دبلوماسياُ على الروس يجبرهم على وقف أطلاق النار، وبما أن العثمانيين اعتقدوا بأنهم قد خذلوا من جانب البريطانيين، لاسيما بعد أن أصبح وضعهم العسكري حرجاً، فكان الدعم البريطاني آخرُ شيء في حساباتهم بعد أن فقدوا الأمل بالحصول على مساعدة خارجية، لذا اضطرت الحكومة العثمانية إلى طلب هدنة لعقد مفاوضات لإبرام معاهدة السلام مع روسيا(٧٦)، وهو ما سبق لنا ذكره.

على الرغم من الانقسامات بين أعضاء الحكومة البريطانية والموقف الغامض للسياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية (٧٧)، غير أن الحكومة البريطانية كانت قلقة بشكل كبير بشان الخطر الروسي على اسطنبول والمضائق وشبه جزيرة غاليبولي(٧٨)، إذ أدى التقدم الروسي إلى العاصمة

العثمانية لحالة من الهلع في بريطانيا [٧٩]، مما اوجد شعوراً سائداً بحتمية القيام بعمل معاكس لمواجهة التهديد الروسي.

لقد أخذت الملكة فكتوريا Victoria (١٨١٩- ١٩٠١/١٨٣٧-١٩٠١)[٨٠]، بالضغط على حكومتها لاتخاذ ما يلزم لوقف الاجتياح الروسي للأراضي العثمانية، لاسيما بعد ورود تقارير مروعة من السير اوستن هنري ليارد Sir Austen Henry Layard السفير البريطاني في اسطنبول(١٨٧٧-١٨٨٠)[٨١]، بشان انهيار القوات العثمانية، ومحذرة من سرعة تقدم القوات الروسية صوب العاصمة العثمانية، وخطورة الموقف إذا ما احتلت تلك القوات منطقة المضائق، وبأن الحفاظ على المصالح البريطانية يحتم إرسال الأسطول البريطاني لمنطقة المضائق ودخول بريطانيا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية [٨٢] ، لكل ذلك، يمكن أن نتفهم أسباب غضب الملكة من سياسة "اللامبالاة" التي انتهجتها حكومة دزريلي تجاه الخطر الروسي[٨٣]، فقد حذرت حكومتها في رسالة لها في الثالث عشر من كانون الأول ١٨٧٧ تراجع مكانة بريطانيا "كقوى كبرى إلى دولة من الدرجة الثانية"[٨٤].

وعليه أرسل اللورد دربي في اليوم نفسه مذكرة إلى الكونت شوفالوف ذكره فيها بوعود القيصر وتأكيداتهِ بشأن عدم احتلال اسطنبول محذراً في الوقت نفسه من عواقب احتلالها ولو بشكل مؤقت، حتى وان كان ذلك لإغراضٍ عسكريةٍ بحتةٍ، وإذا ما حصلت أي محاولة لاحتلال اسطنبول، أو مضيق الدردنيل[٨٥]. فأن بريطانيا ستكون مجبرة للتخلي عن حيادها وستتخذ الخطوات التي تراها ضرورية لحماية مصالحها، وختم اللورد مذكرته بالإعلان عن استعداد حكومته للتوسط في سبيل استعادة السلام[٨٦].

لقد وضع غورجاكوف تقييماً صحيحاً عن تطور الأحداث وتسارعها مفاده، بان العثمانيين سيعيدون تنظيم صفوف قواتهم ومن ثم التحشد عند أسوار اسطنبول مما سيعطيهم دافعاً قوياً للمقاومة، لاسيما إذا علموا بان بريطانيا ستتدخل في حال كان الهجوم موجهاً نحو عاصمتهم، وإزاء هذا الاحتمال كان على غورجاكوف أن يبدد المخاوف البريطانية بخصوص مصير المضائق

والعاصمة اسطنبول، ففي السادس عشر من كانون الأول ١٨٧٧، حرر غورجاكوف إجابته، التي كرر فيها وعد القيصر الروسي فيما يخص مصير العاصمة اسطنبول بحسب ما جاء في رسالته المؤرخة في الثامن من أيار ١٨٧٧، إلا انه طلب من سفيره في لندن أن يستوضح من اللورد دربي طبيعة المصالح البريطانية في مضيقي البوسفور والدردنيل [٨٧]. وفي الثاني من كانون الثاني ١٨٧٨، سلم الكونت شوفالوف بدوره جواب الحكومة الروسية إلى اللورد دربي، الذي تضمن تأكيد القيصر الروسي بعدم احتلال العاصمة العثمانية و مضيق البسفور، كما أرفق شوفالوف الإجابة باستيضاح عن طبيعة المصالح البريطانية في منطقة المضائق[٨٨].

صحيح أن الحكومة الروسية قدمت تعهداً خطياً بموجب رسالتيها المؤرختين في شهري أيار وكانون الأول لعام ١٨٧٧[٨٩]، ألزمت فيهما نفسها بعدم احتلال اسطنبول ومضيق البوسفور، إلا أن ذلك التعهد لم يكن كافياً على اقل تقدير من وجهة النظر البريطانية، إذ لم تشمل الضمانات المشار إليها آنفاً شبه جزيرة غاليبولي، التي يمكن من خلالها تهديد الملاحة في منطقة المضائق من خلال نصب بطاريات المدافع على سواحل مضيق الدردنيل.

وعليه لم تعد الحكومة البريطانية التأكيدات الروسية بشأن مضيق البسفور محدودة فحسب، بل غير كافيةٍ، وإنما ينبغي أن تكون واضحةً وشاملةً لكل منطقة المضائق، لاسيما مضيق الدردنيل، لذا أجابت الحكومة البريطانية، نظيرتها الروسية في الثاني عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، بان أي "عملية تضع مضيق الدردنيل تحت السيطرة الروسية تعد عائقاً في وجه أي تسوية للمشكلة "، لذا حذرت بريطانيا، روسيا من إرسالها لقواتها واحتلالها لشبه جزيرة غاليبولي[٩٠]. وبالفعل قدم غورجاكوف تأكيدات حكومة بلاده السلمية بهذا الخصوص في رسالته المؤرخة في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، إلا أن تلك التأكيدات ارتبطت بشرطين، الأول: أن لا تقوم الحكومة العثمانية بتحشيد قواتها في شبه جزيرة غاليبولي؛ والثاني: أن لا تقوم بريطانيا نفسها باحتلالها[٩١].

ومرة أخرى، ومع اقتراب الجيش الروسي من العاصمة العثمانية بدأت الملكة فكتوريا تعيش "نوبات غضب" على ما يبدو، إذ أخذت تلح على وزرائهــا وتدفعهم باتجاه الحرب(٩٢)، بل أن الملكة ذهبت إلى ابعد من ذلك، عندما أعربت عن عدم ثقتها باللورد دربي وزيراً للخارجية، إذ طلبت من رئـــيس حكومتهــا استبداله بشخص آخر كاللورد ســالزبوري Lord Salisbury(٩٣)، الــذي كــان يشغل منصب وزير شؤون الهند (شباط ١٨٧٤- نيسان ١٨٧٨) في الحكومــة نفسها(٩٤). وفي العاشر من كانون الثاني ١٨٧٨، بعثت رسالة شديدة اللهجة إلى رئيس وزرائها قالت فيها: "إن ما يخالجني من شعور بأنه ليس في اســتطاعتي البقاء ملكة لبلد يخذل نفسه ليقبل أقدام البرابــرة [الــروس] معــوقي الحريــة والحضارة..." ثم تسخر الملكة في الرسالة نفسها من تخاذل وزرائهــا ومتمنيــة "لو أنها كانت رجلاً لتولت قيادة القوات البريطانية من اجل طرد الروس"(٩٥).

وبناءاً على إصرار الملكة اجتمعت الحكومة البريطانية فــي الحــادي عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، واتخذت قراراً بدخول أسطول البحر المتوســط البريطاني، الذي كان راسياً في خليج بسيكا (قبالة مضيق الدردنيل ) في مضيق الدردنيل(٩٦)، وفي اليوم التالي ابرق اللورد دزريلي إلى ليارد السفير البريطــاني في اسطنبول، بان يفاتح الحكومــة العثمانيــة بضــرورة الســماح للأســطول البريطاني الدخول في مضيق الدردنيل والرسو فيــه، وان يوضــح للحكومــة العثمانية بالقول :" أن هذه الخطوة لا تعني التخلي عن مبدأ الحيــاد الــذي تــم الحفاظ عليه"(٩٧) وبأنه مجرد إجراء احترازي لحماية القناة من أن تغلق(٩٨).

درس الســلطان عبــد الحميــد الثــاني (١٨٤٢- ١٩١٨/ ١٨٧٧- ١٩٠٨)(٩٩)، شخصياً الطلب البريطاني مع صــفوت باشــا وزيــر الخارجيــة العثماني(١٠٠)، ورغم أن المعاهدات الدولية الخاصة بمسألة المضائق لــم تحــرم السلطان من صلاحية فتحها خلال وقت الحرب أمام الســفن الحربيــة للــدول الصديقة والحليفة للدولة العثمانية(١٠١)، إلا أن الرد العثمــاني، الــذي اســتغرق يومين من النقاش المستفيض كان سلبياً(١٠٢). صحيح أن العثمانيين كانوا حانقين على الحكومة البريطانية بسبب رفضها مساعدتهم في محنتهم وإصرارها علــى

موقفها الحيادي. وصحيح أيضاً أن بإمكان الوفد العثماني المفاوض استثمار وجود الأسطول البريطاني داخل مضيق الدردنيل كوسيلة ضغط ضد الوفد الروسي المفاوض، أو على اقل تقدير أن وجود الأسطول البريطاني قرب الأحداث ربما سيكون مهما للعثمانيين في حال انهيار المفاوضات مع روسيا!(١٠٣).

إلا أن الواقع يشير، أن السبب الذي دفع السلطان عبد الحميد لرفضه دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل نابع من خطورة التصعيد البريطاني على أمن العاصمة اسطنبول، لاسيما أن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بحماية الدولة العثمانية من نتائج دخول أسطولها إلى مضيق الدردنيل.

بما أن الحكومة العثمانية اتخذت قرارها في التفاوض مع الروس فإن تلك القوة ستنظر لأي تحرك بريطاني بوصفهِ عملاً عسكرياً يهدد جيوشها وعندها ستفرض شروط قاسية في المفاوضات، وربما تقرر روسيا مواجهة التصعيد البريطاني باحتلال العاصمة اسطنبول، التي تقبع بدون دفاعات أمام جيوشها لذا جاء رد السلطان العثماني على الطلب البريطاني ما يلي:

" بأنه في ظل الظروف الطبيعية لم يكن ليعترض
على فتح المضائق لأسطول حليف وصديق قديم
ولكن عندما يكون هكذا عمل يؤثر على مصالح
العثمانيين فانه من غير الحكمة السماح بذلك"(١٠٤).

فضلاً عن ذلك، اخبر صفوت باشا وزير الخارجية العثماني، الفريد سانديسون Alfred Sandison مترجم السفارة البريطانية بأنه إذا ما سمحت الحكومة العثمانية للأسطول البريطاني الدخول لمنطقة المضائق فأنه سيسمح للأساطيل الأخرى بالدخول أيضا(١٠٥). لذلك وفي ضوء الحجج التي ساقها السلطان ووزير خارجيته اقتنع السفير البريطاني بوجهة النظر العثمانية، لذا لم يرَ من حاجة لهذا التحرك، وبذلك لم يتم إرسال الأسطول البريطاني لعدم الاتفاق داخل الحكومة البريطانية نفسها بشأن فائدة التحرك(١٠٦). ومن جانب آخر، تلقت لندن خبراً عن عزم الحكومة العثمانية عقد هدنة مع الروس والدخول في مفاوضات

مباشرة لتسوية الخلافات بين الطرفين بشيء من القلــق وعــدم الارتيــاح(١٠٧)، لاسيما بعد استلام الحكومة البريطانية لتقارير تؤكد نية الروس التفاوض علـــى تعديل القوانين المتعلقة بمسألة المضائق، التـــي أقــرت بموجــب المعاهــدات الأوربية(١٠٨)، لذا أمرت الحكومة البريطانية في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، سفيرها فـــي ســـان بطرســبرغ تســـليم الحكومـــة الروســـية مـــذكرة احتجاج(١٠٩)، تضمنت اعتراض حكومة "صاحبة الجلالة" لأي معاهدة قد يعقدها الطرفان المتنازعان وتؤثر على معاهدتي بـــاريس١٨٥٦، ولنـــدن١٨٧١، كمـــا نوهت الحكومة البريطانية في المذكرة نفسها ببطلان المعاهدة المزمع عقدها من دون موافقة جميع القوى الأوربية الموقعة على هاتين المعاهدتين، وبأن تعـــديل أي بند من بنودهما يجب أن يتم ضمن معاهدة أوربية عامة(١١٠).

وفي غضون ذلك، كانت روسيا قد قـــررت فعـــلاً صـــيغة الشـــروط الأساسية لإبرام معاهدة السلام مع الدولة العثمانية، ولعل من أهمها تلك المتعلقة بمسألة مضيقي البوسفور والدردنيل، التي استندت على تقريـــر لــــ الكســـندر نيليدوف Aleksandr Nelidov(١١١) المستشار السياسي للدوق نيكـــولاس قائـــد الحملة الروسية، وقد تضمن التقريـــر الأهـــداف الإســـتراتيجية للحـــرب مـــع العثمانيين لاسيما المتعلقة بسياسة روسيا البحرية، والتـــي لخصـــها بمســـألتين، الأولى: كيفية الاتصال بالبحر المتوسط؛ والثانية: منع سفن الدول المعادية مـــن مهاجمة الأراضي الروسية المطلة على البحر الأسود، وعلى هـــذين الأساســـين ينبغي أن تبذل الحكومة الروسية جهودها لتأسيس نظـــام جديـــد للملاحـــة فـــي مضيقي البوسفور والدردنيل تضمن روسيا من خلاله حريـــة الملاحـــة لســـفنها الحربية، وان تستثنى كل السفن الحربية ولجميع الدول من حق المرور(١١٢).

أما فيما يتعلق بالبحرية الروسية، فقد شخص نيليدوف حال الأســـطول الروسي في البحر الأسود قائلا:

" إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حالة الأسطول الروسي
في البحر الأسود في وقتنا الحاضر فإن روســيا لـــن
تستطيع ولسنوات عدة قادمة من إرسال أسطول قوي

بما فيه الكفاية للبحر المتوسط لممارسة تأثير ملموس فيه خصوصاً إذا ما قارناه بالأسطول البريطاني، ولكن سيكون من المهم أن تكون لروسيا القدرة على إرسال سفن قوية منفردة عبر مضيقي البوسفور والدردنيل، فضلاً عن تعزيز الأسطول الروسي في البحر الأسود بسفن حربية جديدة تصدر إليها عبر مضيقي البوسفور والدردنيل بعد أن تكون قد شيدت في أماكن أخرى خصيصاً للبحرية الروسية(١١٣).

وعلى ذلك الأساس اقترح نيليدوف أن يتم تعديل قانون المضائق بموجب فقرة يفرضها الوفد المفاوض الروسي ضمن شروط معاهدة السلام مع الدولة العثمانية، بحيث يحق لروسيا وبموافقة الحكومة العثمانية وبموجب فرمانات خاصة يصدرها السلطان العثماني، إرسال سفن حربية منفردة عبر البوسفور والدردنيل مجيئاً وذهاباً، مع حتمية إغلاقهما بوجه السفن الحربية للدول الأجنبية غير المتشاطئة على البحر الأسود(١١٤).

ليس ثمة شك، من أن السلطان العثماني كان قد حرم صلاحية فتح مضيقي البوسفور والدردنيل أمام السفن الحربية الأجنبية في وقت السلم وفقاً لاتفاقية لندن للمضائق لعام ١٨٤١، وقد تم تأكيد ذلك المبدأ بموجب معاهدتي باريس ١٨٥٦، ولندن ١٨٧١، فبعد أن وافقت الدولة العثمانية على تلك المعاهدات، فأنها قد سلمت حقوق السيادة التامة التي كانت تمتلكها، لأنها بعد أن دخلت في اتفاق مع الدول الأخرى، قد تخلت عن حقها في فتح مضيقي البسفور والدردنيل بإرادتها الخاصة، بعبارة أدق، أن مبدأ غلقهما في وقت السلم كان لا ترقى إلى شك بعد أن خضعا للقانون الأوربي العام. وبما أن روسيا كانت ضمن القوى الموقعة على المعاهدات المذكورة، والتي ألزمت نفسها ليس فقط أمام الدولة العثمانية فحسب، بل أمام كل القوى الأوربية الأخرى، وهذا ما ينطبق أيضا على بقية الدول الأخرى ومنها بريطانيا، وعليه فإن أي تغيير يتطلب موافقة جميع الموقعين(١١٥).

في ضوء الحقائق آنفاً، يبدو أن الحكومة الروسية كانت تدرك صعوبة مقترح نيليدوف، وما يرمي إليه بضرب المعاهدات الأوربية الخاصة بمضيقي البسفور والدردنيل عرض الحائط بتغييره لكل القوانين المتعلقة بمرور السفن الحربية والتجارية في وقتي السلم والحرب لصالح بلاده من خلال معاهدة روسية –عثمانية. وفي الواقع كان غورجاكوف حذراً في تعامله مع هكذا خطوة لاعتقادهِ أنها سوف تقود إلى تعقيدات خطيرة، لذا كان من الضروري قبل الإقدام عليها معرفة موقف حليفا روسيا في حلف الأباطرة الثلاث (ألمانيا، النمسا– المجر)، كما كان عليه أن يختبر رد فعل القوى الأوربية الأخرى، لاسيما بريطانيا، إذ تم نقل مقترح نيليدوف لكل من الإمبراطور الألماني وليم الأول William I (١٧٩٧– ١٨٨٨/ ١٨٦١– ١٨٨٨)[١١٦]، وإمبراطور النمسا– المجر فرانسيس جوزيف الأول Franz Joseph I في الرابع من كانون الثاني ١٨٧٨، وقد اعترض الكونت اندراسي وزير خارجية النمسا – المجر بشدة على موضوع مرور سفن روسية منفردة لمضيقي البوسفور والدردنيل معلل بأنه يتناقض مع المعاهدات الأوربية[١١٧].

ابرق غورجاكوف لسفيره في لندن الكونت شوفالوف يعلمه بمسودة شروط معاهده السلام مع الدولة العثمانية، التي نص بندها التاسع على غلق المضائق بوجه السفن الأجنبية، والسماح بمرور سفن حربية منفردة للدول التي لديها إطلالة على سواحل البحر الأسود بموجب تصريح من السلطان شخصياً، الذي سيكون ملزماً بمنح اذونات المرور متى ما طلب منه ذلك[١١٨].

درس السفير الروسي البند أعلاه بتمعن وخرج باستنتاج مفاده بأنه "سيؤدي إلى غضب بريطانيا أكثر مما لو كان مبدأ حرية الملاحة في المضائق قد اقر فعلا" وعليه نصح شوفالوف، غورجاكوف بان تؤكد روسيا للحكومة البريطانية بان تسوية المضائق لا تخص روسيا فحسب بل جميع القوى الأوربية[١١٩].

كان من الواضح، أن امتياز منح السفن الحربية الروسية حق المرور عبر مضيقي البسفور والدردنيل، واستثناء الدول الأخرى سيعني هيمنة روسية

على مياه البحر الأسود، فضلا على منطقة المضائق على الرغم من امتلاك الدولة العثمانية لتلك المنطقة، إذ ستتمكن روسيا من نقل سفنها الواحدة تلو الأخرى من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، مما سيشكل "كابوسا مخيفا لبريطانيا"، لاسيما إذا ما فرضت روسيا هذا المبدأ على الدولة العثمانية بصيغة معاهدة تحالف روسية- عثمانية مما سيشكل خطراً على طرق المواصلات البريطانية إلى الهند، إذ ستتمكن السفن الحربية الروسية من مهاجمة السفن البريطانية في البحر المتوسط ومن ثم الاختباء داخل المضائق بينما يتم منع السفن الحربية البريطانية من دخول المضائق بهدف مهاجمه السفن الحربية الروسية.

في غضون ذلك، جرت مباحثات بين الوفدين الروسي والعثماني بشأن الهدنة، لذا يمكن وصف حال الحكومة البريطاني بأنها كانت في حالة ترقب وقلق وتوجس، وعندما وردتها شائعات بشأن التوصل لاتفاق يتضمن تسوية مسألة المضائق على أساس ثنائي، مما يناقض التأكيدات الروسية الممنوحة مسبقا لبريطانيا، وعليه أمرت الحكومة البريطانية في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٨٧٨، سفيرها في اسطنبول بان يطلب من السلطان توجيه الأوامر إلى الحاميات العثمانية في مضيق الدردنيل بعدم إطلاق النار ضد الأسطول البريطاني وتسهيل مهمة رسوه في بحر مرمرة[١٢٠].

من جانب آخر، أمرت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه[١٢١]، الادميرل هورنبي Hornby قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط باقتحام مضيق الدردنيل بكامل أسطوله سواءً أقبلت الحكومة العثمانية أم رفضت، وعندما علم الوزراء العثمانيين بذلك كان رد فعلهم قوياً، وأصروا على أن يعلم البريطانيون، الروس بان دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل لم يكن بطلب من الحكومة العثمانية، وإنما حمايةً للمصالح البريطانية[١٢٢]، ويبدو أن العثمانيين كانوا متخوفين من الآثار الخطيرة لهذا العمل على المفاوضات الجارية بين الطرفين معتقدين بأنه قد يقود لاحتلال روسي لعاصمتهم، ومع ذلك وبتردد كبير- وكان ذلك حتى قبل أن يخبر السفير

البريطاني الحكومة العثمانية بفحوى التهديد البريطاني بالدخول عنوة لمضيق الدردنيل وبضرب الحاميات العثمانية إذا ما أطلقت أطلق النار- اصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمان اذن المرور للأسطول[١٢٣]. وفي اليوم التالي نقض مجلس الوزراء البريطاني قراره، إذ ألغى أمر دخول الأسطول بعد وروده برقية مغلوطة من ليارد بشأن ورود مسألة المضائق في المفاوضات الروسية- العثمانية، وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٨٧٨، استلم الادمرال هورنبي أوامر اقتحام مضيق الدردنيل، وهو ما أسلف ذكره آنفاً، إذ دخلت سفنه الدردنيل وخرجت بسرعة، وفي اليوم نفسه علمت الحكومة البريطانية من ليارد بان السلام المقترح بين الروس والعثمانيين قد تضمن بالفعل على الفقرة أو المسألة التي دارت حولها الشكوك، غير أن الوقت كان متأخر جداً لتغيير التعليمات مرة أخرى، وفي غضون ذلك طلبت الحكومة العثمانية من نظيرتها البريطانية منحها المزيد من الوقت في حال أرادت إدخال أسطولها مرة أخرى إلى المضائق[١٢٤].

بيد أن ألازمة الحقيقية بسبب مسألة المضائق حدثت بعد أسبوعين من التاريخ آنف الذكر، فعلى الرغم من التأكيدات الروسية لبريطانيا بعدم تطرق المباحثات الروسية- العثمانية للبنود المتعلقة بالمضائق في المعاهدات الأوربية، إلا أن هدنة " أسس السلام التمهيدية" Preliminary bases of Peace الموقعة في مدينة ادريانبول (أدرنة) في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ١٨٧٨، احتوت على نوع من الترتيب الذي طالما خشيته الحكومة البريطانية[١٢٥]. فقد نصت الفقرة الخامسة منها على ما يلي: "سيتوصل جلالة السلطان المعظم لاتفاق مع جلالة إمبراطور روسيا لترتيب يحمي فيه الحقوق والمصالح الروسية في مضيقي البوسفور والدردنيل"[١٢٦].

في ظني، أن تلك الفقرة تعد خرقاً واضحاً للتأكيدات الروسية للحكومة البريطانية، فبموجب شروط الهدنة تنازل العثمانيون عن حصون الدانوب لمدن : فيدن Vidin، روسو Rustchuk، سيلسترا Silistria؛ فضلاً عن إخلاء حصون البلقان لمدن: رازغراد Razgrad، بلغراد Belgradjik،

بازاجيك Bazardjik، كما فرض الروس انسحاب الجيش العثماني لآخر خطوطه الدفاعية وبمسافة تبعد عشرة كيلو مترا فقط عن أسوار العاصمة اسطنبول، في حين لا تقل المسافة الفاصلة بين الجيشين العثماني والروسي عن عشرة كيلو متر(١٢٧)، وبذا وصل الروس إلى شبه الجزيرة في النقطة التي تفصل البحر الأسود عن بحر مرمرة وبمحاذاة مضيق البوسفور.

وعليه ساد الاعتقاد لدى البريطانيين بصحة الشائعات التي تؤكد عن تحركات للجيش الروسي بهدف احتلال اسطنبول ومنطقة المضائق(١٢٨)، لاسيما بعد أن وردت لندن تقارير من ليارد السفير البريطاني في اسطنبول تؤكد انتقال مقر قيادة الجيش الروسي إلى ضواحي العاصمة اسطنبول في منطقة Chatalja(١٢٩).

لقد أثارت تلك الأخبار الرأي العام البريطاني، فانتاب القلق جميع الأوساط البريطانية على مستقبل مصالحهم في الدولة العثمانية، وطالبوا الحكومة بإعلان الحرب ضد روسيا(١٣٠)، لذا أخذت طبول الحرب في العاصمة البريطانية تقرع، وأصبح إعلان بريطانيا للحرب مسألة وقت، لاسيما بعد أن طلبت الحكومة البريطانية من البرلمان تخصيص مبلغ ستة ملايين جنيه إسترليني استعدادا للحرب(١٣١)، كما استلم ليارد توجيهات من حكومته للحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني لدخول الأسطول البريطاني في البحر المتوسط، فضلاً عن ذلك، أمرت الحكومة البريطانية الادميرال هورنبي قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط في الثامن من شباط ١٨٧٨، بدخول مضيق الدردنيل والإبحار حتى مضيق البوسفور والرسو في موانئ العاصمة اسطنبول(١٣٢).

وبما أن الحكومة العثمانية لم تكن قد أرسلت بعدُ التوجيهات لقائد القلاع الحامية في مضيق الدردنيل في السماح للأسطول البريطاني بدخول الدردنيل، لذا آثر الأدميرال هوربي التريث في تنفيذ الأوامر التي بلغته. وعندما وصل إلى لندن خبر رفض السلطان عبد الحميد الثاني منح فرمان الاذن بالدخول، أمرت الحكومة البريطانية الادميرل هورنبي باقتحام المضائق عنوة،

كما ابرق اللورد دربي إلى ليارد في العاشر من شباط ١٨٧٨، يخبره بان الأوامر صدرت إلى قائد الأسطول البريطاني باقتحام المضائق وبغض النظر عن الموافقة العثمانية، وإذا ما أطلق العثمانيين النار فان الادميرل هورنبي لديه تعليمات بالرد بالمثل، وان هدف الأسطول "حماية الممتلكات والرعايا البريطانيين القاطنين في اسطنبول". وعليه فان الأسطول سيرسو بالقرب من اسطنبول في بحر مرمرة عند جزر الأمراء[١٣٣].

استلم الادميرل هورنبي أوامر حكومته باقتحام المضايق في الثاني عشر من الشهر نفسه[١٣٤]، وفي اليوم التالي دخل بأسطوله المكون من ست سفن حربية وهي: (Alexakdera، Temeraire، Ruby، Salamis، Achilles، Sweftsure) [١٣٥]. وبينما كانت سفنه تبحر في مضيق الدردنيل قام قائد القلاع الحامية لمضيق الدردنيل بالصعود على سفينة هورنبي وسلمه مذكرة احتجاج على هذا الخرق الواضح لاتفاقية لندن لعام ١٨٧١، إلا انهُ لم يلتفت إلى ذلك وتابع إبحارهُ حسب الأوامر الصادرة له من حكومتهِ[١٣٦].

ومهما يكن من أمر، فقد قدم ليارد طلباً للحصول على إذن الدخول للأسطول البريطاني للمضائق، ولأن الحكومة العثمانية كانت في نيتها الالتزام بالهدنة التي وقعتها مع الروس، لذا رفضت الطلب وعلل صفوت باشا وزير الخارجية العثماني للسفير البريطاني ذلك بالقول: "ان الوضع قد تغيير عما كان عليه في الشهر الماضي، وأننا لا نرى بأي وجه حق أو هدف يريد الأسطول البريطاني الدخول إلى القسطنطينية"[١٣٧]، وذكر أحمد وفيق باشا الصدر الأعظم (٤شباط ١٨٧٨- ١٨نيسان ١٨٧٨)[١٣٨]، بذلك الخصوص قائلاً:

> "عند عودتي للمجلس رأيت طلب السفير. أن الجيش الروسي يقف على بواباتنا، وعليه فنحن ننوي إبقاء التزاماتنا ثابتة دون تغيير...! وهل من الحكمة أن تختفي هذه العاصمة العظيمة مع مليون من الأبرياء بسبب صراع المصالح الأجنبية، وبسبب

الضعف الذي نمر به نتيجة للدفاع المستميت الذي قمنا به؟ سنحتج عند انكلترا ونترك لها مسؤولية هذه الكارثة الرهيبة... نحـن لـن ننتحر إنما نريد السلام بجدية"(١٣٩).

الحق، لقد شعرت الحكومة العثمانية بالامتعاض من التصرف البريطاني، لان الحكومة البريطانية– حتى وهي تقوم بخطوة دخول المضـائق– رفضـت القيام بالتزاماتها تجاه الدولة العثمانية، وان ترتب علـى ذلـك دخـول الجـيش الروسي لإسطنبول، إذ اخبر صفوت باشا، ليارد قائلاً : "بما أن تركيا لا يمكنهـا أن تأمل في حصول المساعدة من أوربا، فأنها ستكون أكثر فأكثر تحت رحمـه روسيا". لذا تعاطف ليارد مع الموقف العثماني وكتب إلى حكومتـه قـائلاً : "لا يوجد من سبب في الوقت الحالي يدعو للاعتقاد بان المصالح أو الرعايا الانكليز في خطر"، واعتقد أيضاً بأنه على الرغم من عدم منح الفرمان فان الباب العالي سيسمح بدخول الأسطول لكنهُ سيقدم احتجاجاً رسمياً يستند علـى مبـدأ خـرق المعاهدات(١٤٠).

وحينما اخبر ليارد، العثمانيين في الثاني عشر من شباط ١٨٧٨، بدخول الأسطول البريطاني للمضائق، بدت علامات القلـق والتـوتر واضـحةً علـى السياسيين العثمانيين، إذ دُهش الصدر الأعظم أحمد رفيق باشـا مـن إصـرار البريطانيين دخول المضائق بموافقة أو بدون موافقة الحكومـة، وأعلـن بأنـه سيلتزم بما وعد به روسيا وسيأمر قائد القلاع في الدردنيل بإطلاق النـار علـى السفنِ البريطانيةِ، كما تصرف صفوت باشا وزير الخارجية العثماني بالأسلوب نفسهِ موضحاً للسفير البريطاني بان مـن واجـب الحكومـة مقاومـة خـرق المعاهدات، إلا أن ليارد حذرهم من مخاطر إطـلاق النـار علـى الأسـطول البريطاني الذي ليس في خطته مهاجمة الدولة العثمانية(١٤١).

يبدو أن العثمانيين أعادوا النظر في حساباتهم بخصوص إطـلاق النـار على الأسطول البريطاني، لان مثل هكذا تطـور لـن يبقـي روسـيا خـارج اسطنبول، وعندها ستواجه الدولة العثمانية عدوين بدلاً من عـدو واحـد، لـذا

اجتمع مساء يوم الثاني من شباط ١٨٧٨، كل من صفوت باشا، وسعيد باشا وزير الداخلية العثماني بالسفير البريطاني ونقلا له مخاوف السلطان عبد الحميد الثاني من نتائج دخول الأسطول للمضائق، لاسيما أن الدلائل باتت تؤكد عزم روسيا على احتلال اسطنبول، الذي سيعقبه أعمال عنف متبادلة بين المسلمين والمسيحيين. وفي ختام الاجتماع أُخْبِرَ ليارد بان القلاع الحامية للمضائق ستبقى هادئة، وإنها لن تطلق النار على الأسطول البريطاني، إلا انه سيتم تقديم احتجاج رسمي ضد انتهاك المعاهدات.(١٤٢)

على الرغم من اقتحام الأسطول البريطاني للمضائق في الثالث عشر من شباط ١٨٧٨، إلا أن محاولات العثمانيين الدبلوماسية بردع البريطانيين عن قرارهم استمرت دون هوادة، ففي الثالثة صباحاً من اليوم نفسه تلقى ليارد رسالة من السلطان عبد الحميد الثاني وبرفقتها نسخة من برقية الاحتجاج التي بعثها إلى الملكة فكتوريا ضد دخول الأسطول البريطاني للمضائق، أما بخصوص الرسالة نفسها فقد تمنى السلطان فيها على السفير أن يوعز لقائد الأسطول بالتوقف حتى يتلقى رداً من الملكة على برقيته، وعلى الرغم من أن ليارد لم تكن من صلاحياته إيقاف الأسطول، إلا انه أرسل رسالة إلى هورنبي أرفقها بنسخ من رسالة السلطان عبد الحميد الثاني المعنونة إليه مع البرقية المعنونة إلى الملكة، وقدر تعلق الأمر برسالته فقد ذكر بأنه ينصح بان يبقي الأسطول البريطاني "بعيداً عن البر قدر الإمكان"(١٤٣). وأخيرا رسا الأسطول بعيدا عن جزر الأمراء في الخامس عشر من الشهر نفسه(١٤٤). وفي نهار اليوم نفسه أرسل الصدر الأعظم احمد وفيق باشا، وزير الخارجية صفوت باشا إلى مقر السفارة البريطانية، وبعد أن بين الوزير العثماني للسفير ليارد عن مقدار المرارة العثمانية بشأن الموقف البريطاني، سلمه رسالتين الأولى من الصدر الأعظم شخصيا وجاء فيها:

" بعد أن دفعتنا حكومتكم إلى الحائط
تخبرنا بأنه حتى دخول القوات الروسية لا
يمكن أن يجعلها تقبل بطلبنا في التدخل،

لكنها اليوم تتدخل رغم أنفنا بعد أن رأتنا
نريد السلام بأي ثمن...! أن جلالته
[السلطان] يصر بأن تُوقف حكومتكم خطتها
في الدخول[ للمضائق] إذ يطالب وبقوة
بإيقاف تقدم الأسطول حتى يتم التوصل
لحل"(١٤٥).

أما الرسالة الثانية، فكانت نسخة طبق الأصل لبرقية القيصر الروسي الكسندر الثاني إلى السلطان عبد الحميد الثاني، إذ تضمنت تهديداً صريحاً باحتلال العاصمة اسطنبول، واهم ما جاء فيها قوله: "... في حال دخول الأسطول البريطاني للبوسفور فسأجبر عندها على وضع قطعات عسكريه في القسطنطينية وبشكل مؤقت". وعليه دخل صفوت باشا مع السفير البريطاني في مناقشه شديدة، حمل فيها الحكومة البريطانية المسؤولية الكاملة المترتبة عن احتلال القوات الروسية العاصمة اسطنبول، محذراً في الوقت نفسه من أن عواقب ذلك الاحتلال ستكون بالغة الأثر على المصالح البريطانية إذ قال: "أن احتلال [ روسيا] للقسطنطينية وان كان مؤقتا ستكون لهُ تأثيرات غير محسوبة على العالم الإسلامي والمصالح البريطانية" ثم حاول صفوت باشا تخويف ليارد من خلال ربط مسألة مصير العاصمة العثمانية بمصير الوجود البريطاني في الهند، إذ طرح عليه متسائلا عما سيفكر به مسلموا الهند إذا ما سمعوا خبر دخول الجيوش الروسية عاصمة الإسلام بوجود الأسطول البريطاني: "الذي لم يكن قادراً ولا حتى راغباً بالتدخل لمنع هذه الأهانة العظيمة للمسلمين في كل مكان، فهذه مسألة لن ينسوها أو يغفروها ابد"(١٤٦).

وفضلا عن ذلك حاججَ صفوت باشا، السفير البريطاني بالقول:

" لم تكن لا الأرواح البريطانية ولا حتى
ممتلكاتهم في خطر، ولكن إذا ما دخل الروس
المدينة فإن الموقف سيتغير تماماً، لان
الحكومة العثمانية ليست لديها القدرة وهي

مفلسة تماماً من أعالة ما بين عشـــرين إلـــى ثلاثين ألف جندي روسي، ومن ثم فهـــم مـــن المؤكد سيساعدون أنفسهم، سيهدمون منـــازل المسلمين من اجل خشب التدفئة وسيســـرقون من اجل تأمين مؤنهم وأرزاقهـــم... إن هـــذه الأوضاع ستقود لصراعات وستنتشر لتشـــمل المسيحيين ولن تنتهي هـــذه الاضـــطرابات إلا بمذبحة... ان بريطانيا اليوم تثبت بأنها عـــدو تركيا الأكبر فهي التي تستفز روسيا وتـــدفعها للقيام بخطوات قـــد تجلـــب الـــدمار الأخيـــر للإمبراطورية التركيـــة"(١٤٧). وبـــذلك رمـــى صفوت باشا الكرة في الملعب البريطـــاني إذ وضع الحكومة البريطانيـــة أمـــام مســـؤولية تاريخية.

في غضون ذلك، وصل سعيد باشا وزير الداخلية العثمانيـــة إلـــى مقـــر السفارة البريطانية وبجعبته مقترح جديد من السلطان عبد الحميد الثـــاني يـــنص بأنه إذا كان احد المخاوف البريطانية أن تُســـلم الحكومـــة العثمانيـــة أســـطولها للروس– بهدف غلق الدردنيل والبوسفور بوجه الأســـطول البريطـــاني– فـــان السلطان مستعد لإرسال سفنه لأي مكان تقترحه الحكومة البريطانيـــة، وإذا لـــم تكن لديها ثقة بالضباط العثمانيين فانه مستعد بأن يضع تلك السفن تحت تصرف قائد الأسطول البريطاني ويقبل بصعود ضباط بريطانيين على متنها!!(١٤٨).

من الواضح أن السلطان العثماني كان يخشى على مصير عاصمته مـــن عواقب رسو الأسطول البريطاني في موانئ العاصمة، لذلك لـــم يرغـــب بـــان يخطو البريطانيين مثل هذه الخطوة في ذلك الوقت، إلا أن ســـعيد باشـــا نقـــل للسفير البريطاني قول السلطان عبد الحميد الثاني ما نصه: "في حال كان هنـــاك

سبب يدفعني للاعتقاد بان الروس علـــى وشـــك خـــرق الهدنـــة أو تعـــريض الإمبراطورية للخطر... عندها سأطلب من الحكومة البريطانية التدخل"(١٤٩).

مهما يكن من أمر، فقد استمرت الحكومة العثمانيـــة فـــي جـــدالها مـــع الحكومة البريطانية من اجل سحب أسطولها من المضائق، ولكـــن دون جـــدوى فقد كتب أحمد وفيق باشا الصدر إلى ليارد في الرابع عشر من شـــباط ١٨٧٨، قائلا:

"لقد أمر جلالته [السلطان] السـفير [العثمـاني فـي لندن] بان يضغط على حكومتهم لسحب الأسـطول من الدردنيل، وبالمقابـل فقـد وعـدت الحكومـة الروسية بأنها ستنتظر نتـائج هـذه المفاوضـات، وعليه فهلا طلبت من [ قائد] الأسـطول التوقـف حيث هو الآن... إننا نتعرض لضغطٍ شعبي كبير، وعلى عاتقنا مسؤولية ضخمة. فأينما ذهب الروس تبعهم جمع غفير من البلغار الذين يقتلون ويدنسون حرمات وشرف المسلمين... فقد وردتنا حتى ليلـة البارحة حوالي خمس عشرة برقية تفطر القلـوب عن مذبحة بريشتينا prichtina . لذا فإن دخـول الروس للقسطنطينية سيسبب عنفـاً كبيـراً ضـد المسلمين فقط دون غيرهم، لان الأجانب سيضلون متفرجين فقط، وسيدخل الجنود الـروس المنـازل دون أن يمنعهم ضباطهم، وسيبدون فيها بعد عـن أسفهم وندمهم، ولكن بعد أن تحرق وتدمر الأحياء بكاملها"(١٥٠).

أجرى موسورس باشا السفير العثماني في لندن مباحثـات مـع اللـورد دربي وزير الخارجية البريطاني. إذ احتج الأول بشده ضد الخـرق البريطـاني للمعاهدات الأوربية ذات الصلة بمسألة مرور السـفن الحربيـة فـي مضـيقي

البوسفور والدردنيل(١٥١)، ففي الرابع عشر من شباط طلب من دربي أن يبين الأسس التي استند عليها دخول الأسطول البريطاني في دخوله للمضائق "بصفته صديقاً أم حليفاً أم حيادياً ؟"، وعلى الرغم من ان وزير الخارجية حاول التهرب، إذ لم يعط تعريفاً للتحرك البريطاني، ولَما كرر موسورس باشا السؤال مرة أخرى اضطر اللورد دربي بالقول بأنه : "يفضل مصطلح الحيادي"(١٥٢). وبعد ناقش موسورس باشا مخاطر نتائج غزو روسيا للعاصمة العثمانية، وتحدث كذلك عن احتمال أن يجبر السلطان على طلب اللجوء على إحدى السفن البريطانية(١٥٣) وقد اتفق دربي وسورس باشا على هذه المسألة.(١٥٤)

في الوقت نفسه، كان على الحكومة العثمانية بطبيعة الحال أن تهدأ الروس من خلال استرضائهم. بالتأكد وضع التحرك البريطاني، الحكومة العثمانية في موقف حرج للغاية، إذ دخلت السفن الحربية البريطانية المضائق رغم انف السلطان العثماني وحكومته، وبذلك انتهكت بريطانيا السيادة العثمانية وقانون المضائق الذي نظم من خلال المعاهدات الأوربية إلا أن بريطانيا استخدمت حجه حماية الرعايا البريطانيين القاطنين في اسطنبول، وهي حجه ربما تكون منطقية أمام التاريخ والرأي العام البريطاني أو الأوربي إلا إنها حجة خطيرة كسيفٍ ذي حَدين، فمن المؤكد أن تقوم روسيا بالمثل وتدخل اسطنبول للسبب نفسه، أي بحجج حماية الرعايا الأرثوذوكس. ففي الوقت الذي رفضت بريطانيا القيام بأي خطوة من شأنها مساعده الحكومة العثمانية في محنتها كانت تصر على تمركز سفنها الحربية في بحر مرمره وبالقرب من مدينة اسطنبول. صحيح أن الحكومة البريطانية أخبرت نظيرتها العثمانية بأنه ليس في نيتها تهديد أو إسقاط الحكومة في اسطنبول(١٥٥)، لكن الرد الروسي المعاكس أي احتلال المدينة يمكن أن يهدد مستقبل الدولة العثمانية وربما يكون المسمار الأخير في نعشها.

لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا: لماذا أصرت الحكومة البريطانية إدخال أسطولها في منطقة المضائق والرسو بالقرب من العاصمة العثمانية؟

ضاربة بذلك جميع المعاهدات الدولية ذات الصلة بمسألة المضائق عرض الحائط!!

من الواضح، أن الحكومة البريطانية لم ترفض حماية العاصمة اسطنبول فحسب، بل وتخلت عن أعطاء الدولة العثمانية لأي دعم في حربها ضد روسيا، إذ فضلت "انتهاج سياسة عدم التدخل"[١٥٦] إلا أنها قامت بإدخال أسطولها عنوة في مضيق الدردنيل، ليس بهدف منع الجيش الروسي من احتلال اسطنبول، وإنما ادعت بان حياة وممتلكات رعاياها في خطر، وان الاتصالات التلغرافية في الدولة العثمانية ربما تقطع.

يبدو أن إصرار بريطانيا إدخال أسطولها يمكن تبريرهُ في سببين اثنين، أولاً: توصلت الحكومة البريطانية إلى قناعة بان الروس يرومون من مفاوضات السلام مع العثمانيين تكوين تحالف مناهض لهم، لاسيما أن تلك القناعة كانت تستند على تقرير لسفيرها في اسطنبول يؤكد فيه رغبة روسيا في فصل الدولة العثمانية عن بريطانيا، وأنهاس بصدد تشكيل تحالف ثلاثي يضم كل من الدولة العثمانية وألمانيا وروسيا، كما وردت لندن المزيد من التقارير من مصادرها الاستخبارية بدخول روسيا في مفاوضات سرية مع والي مصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣- ١٨٧٩) من اجل ترتيب عَلاقات وثيقة معه، وبأنها حاولت توجيه الحكومة العثمانية والخديوي للعمل ضد بريطانيا[١٥٧]. لذا أمرت قائد أسطولها باقتحام مضيق الدردنيل، كما عززت من تواجدها البحري في البحر المتوسط؛ ثانياً: لقد علمت الحكومة البريطانية بان الروس قد طلبوا من العثمانيين تسليم أسطولهم الحربي مقابل تخفيض مبلغ الغرامة الحربية، لذا أمرت الحكومة البريطانية قائد أسطولها في البحر المتوسط باقتحام الدردنيل بهدف منع الروس من الاستيلاء على الأسطول العثماني، الذي من شأنه أن يؤدي إلى هيمنة روسية مطلقة على البحر الأسود، او ربما يستخدم في تهديد الملاحة في البحر المتوسط الذي يعد همزة وصل في طرق المواصلات البريطانية إلى الهند، لاسيما بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، لذا حاولت الحكومة البريطانية منع انتقال ملكية الأسطول العثماني إلى روسيا، وأوعزت

إلى ليارد في الرابع عشر من شباط ١٨٧٨، بان يسعى سراً لشراء أربعة من احدث السفن الحربية العثمانية(١٥٨)، إلا أن العثمانيين اخبروا السفير هذه المرة بصورة صريحة بأنهم لن يسلموا أسطولهم إلى روسيا ولا حتى بريطانيا وان الأوامر صدرت إلى ربابنة السفن الحربية العثمانية بإغراق او حرق سفنهم إذا ما حاولت أي قوة لاستيلاء عليها(١٥٩)

في غضون ذلك، سجلت الدبلوماسية الروسية حضورها من اجل دخول محتمل للعاصمة العثمانية، إذ تم تبادل سلسلة من الرسائل بين السلطان والقيصر(١٦٠)، لكن أهم المفاوضات كانت تلك التي جرت بين سانت بطرسبرغ ولندن، إذ استخدمت الحكومة الروسية التبرير نفسه الذي استخدمته نظيرتها البريطانية في دخول أسطولها لمنطقه المضائق بل إنها ذهبت ابعد من ذلك وخطت خطوه اكبر للأمام بالقول: "أن الحكومة الروسية ستحمي كل المسيحيين وليس رعاياها فحسب"(١٦١) فقد أعلن غورجاكوف لشوفالوف في منتصف شباط ١٨٧٨، قائلا :

> "إننا نناقش الدخول المؤقت للمدينة بواسطة جزء من قواتنا والهدف هو نفسه باستثناء أن حمايتنا هذه المرة إذا ما دعت الحاجة ستشمل كل المسيحيين. وهكذا فان الحكومتين ستقومان بواجب أنساني مشترك وبما أن المهمة طبيعتها سلمية فلا يمكن أن تكون هناك تحت أي ظرف اعتداءات متبادلة"(١٦٢).

في الواقع، لم يكن بيان غورجاكوف حاذقاً فحسب، بل انه لم يكن مستفزاً أيضاً، فهو يحمل ميزة انه يعتمد على مفهوم "التدخل الإنساني" وهذا يتناغم إلى حدٍ ما مع إعلان الحكومة البريطانية ويضع مصداقيتها على المحك، لاسيما وهي تحاول أن تثبت للرأي العام بان دخول أسطولها في منطقه المضائق مبني على أسس مبدئية.

لم يردْ غورجاكوف حرباً مع بريطانيا، ولقد تمنى – في الواقع – بأن لا تتطور مسألة دخول السفن الحربية البريطانية للمضائق، وان تجد تلك المسألة حلاً سلمياً يبعد شبح الحرب عن بلاده مع بريطانيا – وهي بلا شك القوة البحرية الأقوى وبكل المقاييس – ويبدو أن شوفالوف قد شاطر غورجاكوف تلك الأمنية إلا إنه لم يعارض احتلال روسيا لاسطنبول، ولهذا تبنى في مفاوضاته مع اللورد دربي موقفاً ثابتاً، ولكنه توافقي أيضاَ، وحينما علم شوفالوف بخبر دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل، كانت ردت فعله متسرعة، إذ كتب مذكرة إلى اللورد دربي، ولعله كتبها من دون الرجوع إلى حكومته، ومما جاء فيها قوله: " انه في حال وصل الأسطول [البريطاني] قرب القسطنطينية فستعد روسيا نفسها في حلٍ من كل التعهدات التي منحتها بخصوص القسطنطينية وغاليبولي"(١٦٣).

من الجدير بالذكر، أن المنطقة الثانية (غاليبولي) كانت محط اهتمام بريطانيا الأكثر، لأن الساحل الشرقي لهذه المنطقة يطل على مضيق الدردنيل. وان بريطانيا بإرسال سفنها لبحر مرمره وضعت نفسها في موقع إستراتيجي سيئ، فمن الممكن محاصرة الأسطول البريطاني داخل منطقة المضائق بمجرد نصب أي قوة لمدافعها عند سواحل شبه جزيرة غاليبولي، وبذلك يتم غلق طريق العودة. وحينما أعطت الحكومة الروسية تأكيداتها في الخامس عشر كانون الثاني ١٨٧٨، بأنها لن تحتل شبه جزيرة غاليبولي إلا أن هذا التعهد ارتبط بشرطين، الأول: إبقاء القوات العثمانية بعيدة عن شبه جزيرة غاليبولي؛ أما الشرط الثاني: فهو أن لا تقوم بريطانيا بإدخال سفنها الحربية في المضائق والرسو فيها(١٦٤)، وهذا ما أسلفنا ذكره. ولكن بعد أن قامت بريطانيا باقتحام مضيق الدردنيل والرسو بالقرب من العاصمة، فإنها بذلك أعطت المبرر لروسيا لفسخ تعهداتها. ولعل اللورد دربي كان مدركاً لخطورة الموقع الحرج للأسطول البريطاني، لذا كتب في الخامس عشر من شباط ١٨٧٨، إلى السفير شوفالوف محذراً الحكومة الروسية من مغبة تحريك قواتها إلى شبه جزيرة غاليبولي، أو القيام بأي عمل من شأنه تهديد اتصالات الأسطول البريطاني(١٦٥).

وفي غضون ذلك، حدث تطور مهم أدى إلى انفراج الأزمة عندما جاء الحل من الجانب الروسي، إذ ابرق غورجاكوف إلى الكونت شوفالوف السفير الروسي في لندن في الخامس عشر من شباط ١٨٧٨، يخبره بقرار القيصر الكسندر الثاني بعدم تقدم القوات الروسية إلى شبه جزيرة غاليبولي، بشرط عدم تمركز القوات البريطانية على احد الجانبين الأوربي أو الآسيوي من المضائق[١٦٦]، لذا قام شوفالوف بنقل فحوى تلك البرقية إلى اللورد دربي في الثامن عشر من الشهر نفسه[١٦٧]. وعلى صعيد ذي صلة، كانت الحكومة البريطانية وبناءً على مناشدات السلطان عبد الحميد للمكلة فكتوريا[١٦٨]، على ما يبدو، قد أصدرت أوامرها إلى الادميرال هورنبي قائد الأسطول البريطاني بالانسحاب من جزيرة الأمراء، ففي حلول السابع عشر من الشهر نفسه تحرك الأسطول البريطاني من موقعهِ إلى خليج مودانيا Gulf Mudania[١٦٩] في بحر مرمرة[١٧٠].

وهكذا تمت تسويه مسألة احتلال روسيا لاسطنبول عندما أرسل القيصر الكسندر الثاني ببرقية إلى السلطان عبد الحميد الثاني في التاسع عشر من شباط ١٨٧٨، يقول فيها بأنه: "لن يدخل المدينة"[١٧١].

صحيح أن من تداعيات وجود الأسطول البريطاني في بحر مرمرة ورسوه عند جزر الأمراء، أن أصبح زمام المبادرة بيد روسيا، وان القيصر الكسندر الثاني كان بإمكانه أن يتبنى موقفاً حاسماً إذا رغب بعمل مباشر أي احتلال اسطنبول وشبه جزيرة غاليبوبي إلا إنه بتأثير معتدل من وزيري الحرب الكونت ميليوتين Count Milyutin ( ١٨٦١- ١٨٨١)[١٧٢] والخارجية غورجاكوف اصدر تعليمات متناقضة وغير واضحة[١٧٣]، ونتيجة لذلك كان قرار الاحتلال الفعلي بيد الدوق نيكولاس القائد الميداني للجيوش الروسية[١٧٤]، الذي كان مدركاً بشكل كامل لموقف جيشه الخطير بعد أن بعدت خطوط إمداداته، لذا لم يرغب أن يساهم في اندلاع حرب خاسرة مع بريطانيا، والنمسا- المجر[١٧٥]، التي أعلنت هي الأخرى عن رفضها لشروط الهدنة[١٧٦]، كما إنه لم يكن تواقاً لان يرى قواته متورطة في معارك خطيرة أخرى مع

القوات العثمانية، التي استعادت زمام المبادرة ولهذا من الصعب جـداً دخـول المدينة[١٧٧].

وفي خضم ذلك، جرت مفاوضات السلام الروسية- العثمانيـة فـي منطقة سان ستيفانو، وكانت إشكالية انتهاك الأسطول البريطـاني للمعاهـدات الأوربية المتعلقة بضيقي البسفور والدردنيل من أهم المسـائل، التـي أثـارت امتعاض الوفد الروسي[١٧٨]، الذي لم يكن ليترك تلك المسألة من دون ان يبـين للوفد العثماني التبعـات المترتبـة لـذلك الانتهـاك، وبعـد ان نـدد الكونـت اغناتييفCount Ignatiev[١٧٩]، وهو احد أعضاء الوفد الروسي خلال جلسـة السابع والعشرين شباط ١٨٧٨، بالخرق البريطـاني، وجـه أصـابع الاتهـام للحكومة العثمانية، التي سمحت بدخول الأسطول البريطاني للمضائق بصـورة سلمية، الذي يُعد "خرقاً سافراً لحقوقها السيادية ". وعليه أصر اغناتييف وبقـوة بان يدون احتجاج الحكومة الروسية ضمن محضر الجلسة الحالية، وان يرفـق بالخطاب التالي:

> "إن بريطانيا اليـوم وخلافـا لشـروط المعاهـدات الأوربيـة للأعـوام ١٨٤١، ١٨٥٦، ١٨٧١، وبتحريض من مجلس الوزراء في لندن، الذي سـبق وقدم للقانون الأوربي العام مبدأ غلق المضائق بوجه الأساطيل الأجنبية تخرق هذا المبدأ بإرسال أسطولها عبر الدردنيل بحجـة انـه كـان مـن الضـروري الاقتراب من القسطنطينية سلمياً دون نية عدوانيـة تجاه الباب العالي، أو أي قوة أخرى وقد تـم تنفيـذ القرار بدون الأخذ بنظـر الاعتبـار الاحتجاجـات المتكررة للحكومة العثمانية أو الالتماسات المباشرة، التي قدمها السلطان للملكة. وعندما بينت قيادة القلاع في الدردنيل بأنه إذا ما دخل الأسطول فسنجبر على إطلاق النار. كان الرد عليهم بان أي أطلاقة لمـدفع

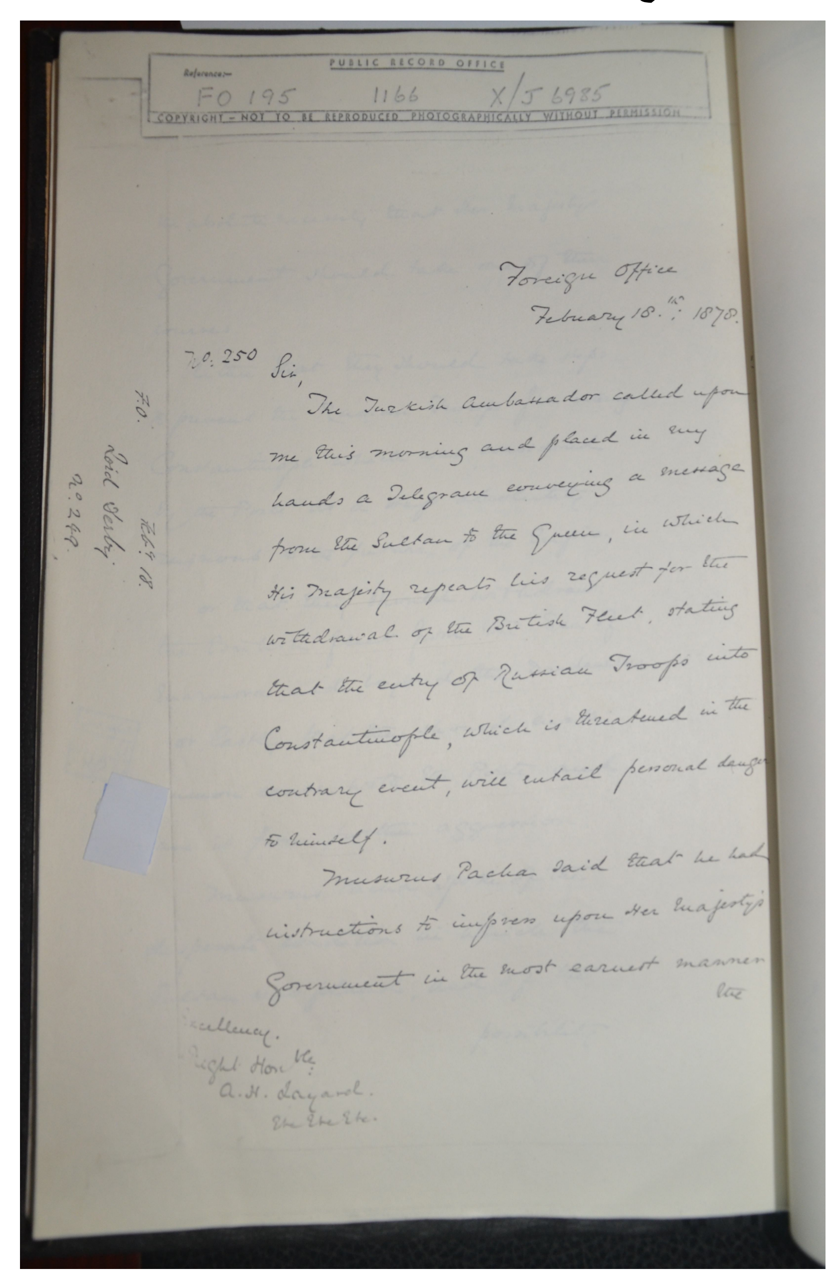
ستكون بمثابة إعلان الحرب على بريطانيا... ونحن نستطيع استخدام الحجج والجدالات نفسها، التي قدمتها بريطانيا للحكومة العثمانية... نقول بأننا أيضا نرغب الاقتراب من القسطنطينية سلمياً دون خرق الهدنة والمفاوضات مستمرة..."(١٨٠).

لقد سببت مسألتي اقتراب القوات الروسية من أسوار العاصمة العثمانية، ودخول الأسطول البريطاني للمضائق حالة من التأهب القصوى في دول القارة الأوربية، التي كانت على وشك اندلاع حرب قد تنجر إليها القوى الكبرى. وبما أن الدولة العثمانية كانت في حالة حرب، لذا كان للسلطان العثماني نظرياً سيطرة كاملة على المضائق بموجب المعاهدات الأوربية، ولان التحرك البريطاني لم يكن بالضرورة من اجل مساعدة الدولة العثمانية، إنما كان هدفه الوقوف في طريق روسيا، ومنعها من الاستيلاء على الأسطول العثماني. وحينما جرت مفاوضات السلام الروسية- العثمانية، لم تمنح الحكومة البريطانية نظيرتها العثمانية لأية تأكيدات أو مساعدة أو حتى دعم على الرغم من وجود القطعات الروسية على أبواب العاصمة اسطنبول، بالتأكيد لم يكن العثمانيون ليطلقوا النار على الأسطول البريطاني، لقد شرع الخرق البريطاني لسابقة خطيرة، وعليه فقد ظل خطر حصول عمل روسي قائماً ما دامت شروط السلام النهائية لم يتم الاتفاق عليها بعد. لذا ازدادت احتمالية اندلاع حرب بين القوى الأوربية الكبرى، وفي ظل هكذا ظروف أصبح موضوع وجود الأسطول البريطاني في المضائق والولوج المحتمل للأسطول البريطاني الحرب إلى البحر الأسود بهدف مهاجمة السواحل الروسية موضوعاً حرجاً للحكومة العثمانية، التي لم يكن لها حول ولا قوة في فرض إرادتها على مضيقي البسفور والدردنيل، على الرغم من ان تلك الإرادة كانت تستند على المعاهدات الدولية. ومهما يكن من أمر، فقد استمرت مفاوضات السلام بين روسيا والدولة العثمانية، وفي الثالث من آذار ١٨٧٨، تم توقيع معاهدة السلام في سان سيتيفانو، ومع أن موضوع المضائق تم استثناءه من المعاهدة، إلا أن البنود الأخرى قلبت توازن القوى في الشرق الأدنى وفضلاً عن خرقها للمعاهدات

السابقة، ومن اجل ضمان تنفيذ الحكومة العثمانية لمعاهدة السلام أصرت الحكومة الروسية على بقاء قواتها قرب اسطنبول، لذا بقيت الحكومة البريطانية قلقة جداَ بشان النوايا الروسية حيال المضائق والعاصمة العثمانية، وعليه أصرت الحكومة البريطانية هي الأخرى على بقاء أسطولها في منطقة المضائق حتى أيلول ١٨٧٨.

## ملحق رقم (١)

السلطان يطلب إما سحب الأسطول البريطاني من المياه أو مساعدة البريطانيين لمنع احتلال العاصمة اسطنبول





Foreign Office
February 18th: 1878.

No. 250

F.O.
Feby 18.
Lord Derby.
No. 249.

Sir,

The Turkish Ambassador called upon me this morning and placed in my hands a Telegram conveying a message from the Sultan to the Queen, in which His Majesty repeats his request for the withdrawal of the British Fleet, stating that the entry of Russian Troops into Constantinople, which is threatened in the contrary event, will entail personal danger to himself.

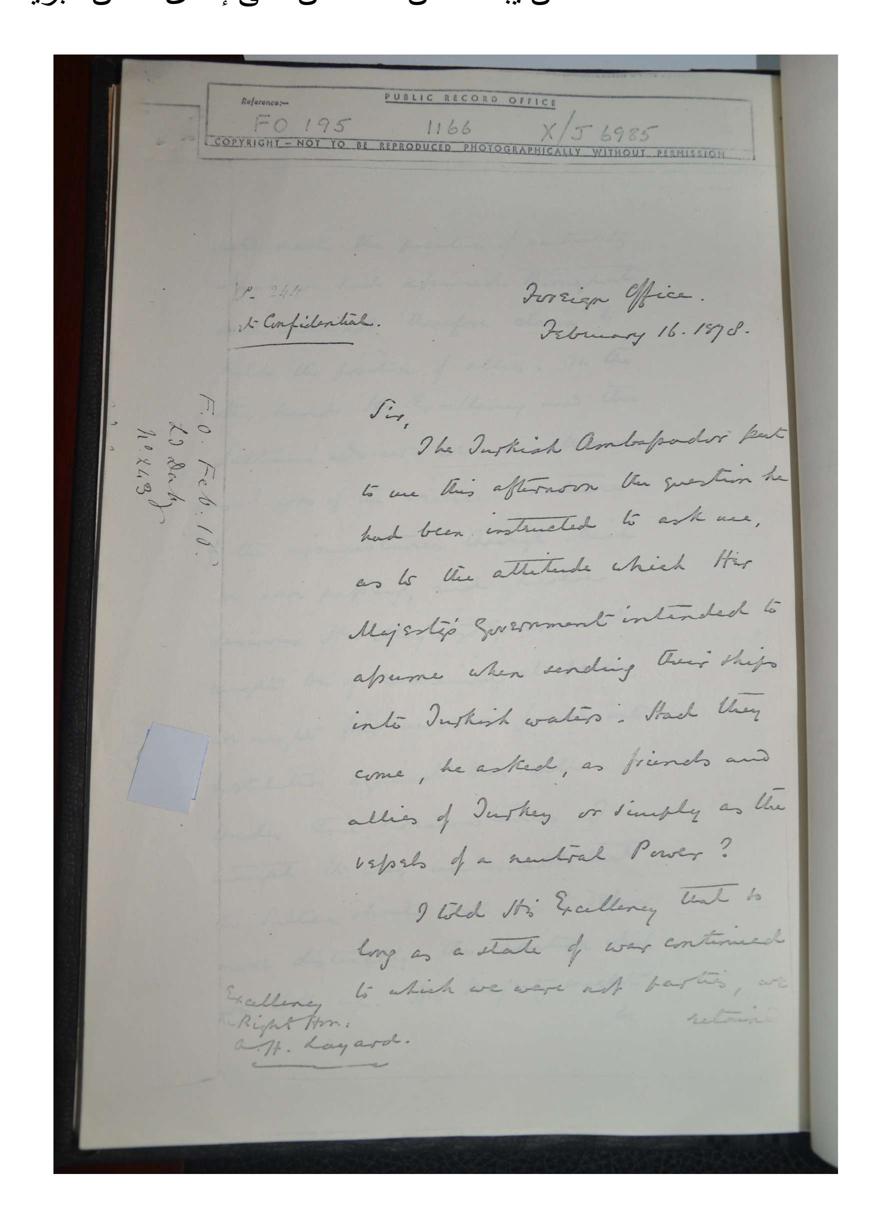
Musurus Pacha said that he had instructions to impress upon Her Majesty's Government in the most earnest manner the

Excellency.
Right Honble:
A. H. Layard.
Etc Etc Etc.

ملحق رقم (٢)

١- رد فعل السلطان تجاه دخول الأسطول البريطاني إلى بحر مرمرة والمضائق

٢- السلطان يبحث عن ملاذ امن على إحدى السفن البريطانية





No. 244
Confidential.

Foreign Office.
February 16. 1878.

F.O. Feb. 16.

Sir,

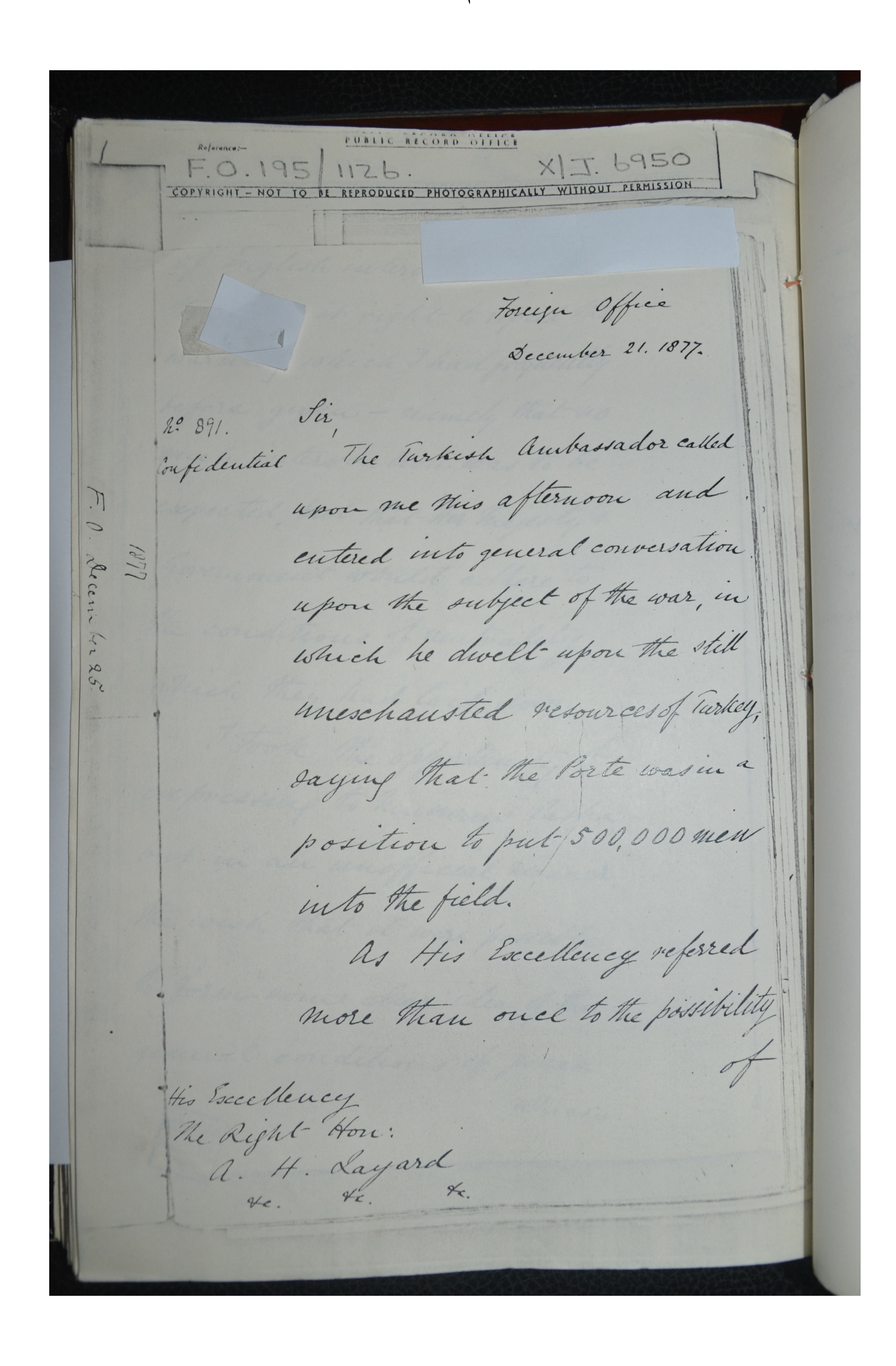
The Turkish Ambassador put to me this afternoon the question he had been instructed to ask me, as to the attitude which Her Majesty's Government intended to assume when sending their ships into Turkish waters. Had they come, he asked, as friends and allies of Turkey or simply as the vessels of a neutral Power?

I told His Excellency that so long as a state of war continued to which we were not parties, we ...

His Excellency
The Right Hon.
A. H. Layard.

ملحق رقم (٣)

تمسك بريطانيا بسياسة الحياد وعدم مساعدة الدولة العثمانية





Foreign Office
December 21. 1877.

No 891.
Confidential

Sir,
The Turkish Ambassador called upon me this afternoon and entered into general conversation upon the subject of the war, in which he dwelt upon the still unexhausted resources of Turkey, saying that the Porte was in a position to put 500,000 men into the field.

As His Excellency referred more than once to the possibility of

His Excellency
The Right Hon:
A. H. Layard
&c. &c. &c.

F.O. December 25 1877

## الهوامش

(١) أ. ج. ب. تايلور ، الصراع على سيادة أوربا ١٨٤٨-١٩١٨، ترجمة فاضل جتكر، ( كلمة والمركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩) ،ص ٣٢٧.

(٢)هاشم صالح التكريتي، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨نموذجاً)، (د.م، ٢٠٠٨)، ص٢.

(٣) محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية ١٨٧٥- ١٨٧٨ دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٠، ص٦٧.

(4) G. D. Clayton, Britain and the Eastern Question: Missolonghi to Gallipoli (London, 1974) P.130

(٥)هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ص٣-٤.

(٦) سياسي ورجل دولة مجري ولد في الثالث والعشرين من آذار ١٨٢٣، في Oláhpatakضمن إمبراطورية هابسبورغ حاليا Vlachovo في جمهورية سلوفاكيا. كان له دور في المفاوضات التي أدت إلى إبرام تسوية "وفاق" (اوستلاخ Ausgleich) تشرين الأول ١٨٦٧، بموجبها نشأ ما يدعى بالحكم الثنائي، إذ أبدل اسم الإمبراطورية النمساوية إلى إمبراطورية النمسا – المجر:-

Encyclopedia Britannica, Vol. 3, PP.714- 722.

(7) W. L., Langer, European Alliances and Alignments 1871-1890,(New York,1966), P.75;

وللتفاصيل عن بنود مذكرة الكونت اندراسي انظر:

محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ٧٨؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ١٩.

(٨) سياسي ورجل دولة ألماني، ولد في الثامن عشر من نيسان ١٨١٥، في مقاطعة براد نبيرغ، عين سفيراً في العاصمة الروسية (١٨٥٩-١٨٦٢) ثم في باريس ١٨٦٢، وفي أيلول ١٨٦٢ استدعاه الملك وليم الأول ليشغل منصب المستشار (رئيس الوزراء) في بروسيا فضلا عن منصب وزير الخارجية (١٨٦٢-١٨٧١) خاض ثلاث حروب من اجل توحيد ألمانيا ضد الدانمارك ١٨٦٢، والنمسا ١٨٦٦، وفرنسا ١٨٧٠-١٨٧١، أصبح مستشار ووزير

خارجية الإمبراطورية الألمانية بعد وحدتها (١٨٧١-١٨٩٠) توفي في الثلاثين من تموز ١٨٩٨، في فريدريبج:-

**Encyclopedia Britannica, Vol. 3, pp.714-722 .**

(٩) نهار محمد نوري القره غولي، التطورات السياسية في قبرص ١٨٧٨-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٣، ص٤٨.

(١٠) هناك خلط شائع في نطق وكتابة الاسم بـ " دزرائيلي" والصواب هو "دزريلي"، لذا اقتضى التنبيه.

(١١) ولد في لندن في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٨٠٤، لأب يهودي، والده المؤرخ إيزاك دزريلي الذي اعتنق المسيحية عام ١٨١٧، وقد تلقى ابنه نشأة مسيحية، لكن أصوله اليهودية تركت آثارها على شخصيته وتفكيره. انتخب عام ١٨٣٧، عضوا في البرلمان البريطاني. تولى وزارة الخزانة لثلاث مرات (شباط ١٨٥٢- تشرين الثاني ١٨٥٢)، (شباط ١٨٥٨- حزيران ١٨٥٩)، (تموز ١٨٦٦- شباط ١٨٦٧)، كما تولى رئاسة الحكومة لمرتين (٢٧شباط ١٨٦٨- تشرين الثاني ١٨٦٨)، (٢٠ شباط ١٨٧٤- ٢١ نيسان ١٨٨٠). توفي في التاسع عشر من نيسان ١٨٨١:

The New Enyclopedia Britannica, Vol. 5, PP. 898-901; Bertold, Spuler, Rulers and Governments of the World, 1492 to 1929, Vol. 2, (Browker, 1977), P. 602.

**(12) Quoted in D. A. Farnin, East and West of Suez: the Suez Canal in History 1854- 1956, (Oxford, Clarendon Press, 1969), P.253; A. Dascovici, La Question Du Bosphore Et Des Dardanelles, (Genève, Georg & Cie, Libraires- Éditeurs, 1915), P.246;**

وللمزيد من التفاصيل عن مشروع بسمارك في تقسيم الدولة العثمانية أنظر:

محمد يحيى احمد عباس، العلاقات السياسية بين بريطانيا وألمانيا ١٨٧١ – ١٨٨٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية/ ابن رشد، ٢٠٠٧، ص ص ١٠٦-١٠٨، ١٢٦-١٢٧، ١٣٧-١٣٨.

**(13) General Ponsonby to Queen Victoria, Windsor Castle, 19 January 1877, in The Letters of Queen Victoria, Second series, A selection from her Majesty's Correspondence and Journal between the Years 1862 and 1878, George Earle Bucke (ed), Vol. II, 1870-1878, (London, 1926), P. 519.**

وسنرمز للكتاب بـ (L. Q. V.).

(١٤) محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص١٤٦.

(١٥) هو الكسندر نيكولافتش Alexander Nikolayrich ، خلف والده نيكولاس الأول، ولد في موسكو في (٢٩ نيسان ١٨١٨)، قام بإصلاحات اجتماعية مهمة في روسيا، كان أهمها إلغاء نظام القنانة في العام ١٨٦٩. اغتيل في (١٣ آذار ١٨٨١) في سان بطرسبورغ على يد طالب بولندي على اثر قنبلة يدوية ألقاها على موكبه:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. I, P. 222.

(16) Tsonko Genov, The Russo- Turkish War 1877- 1878 and the liberation of Bulgaria, Sofia, N.D), P.19.

(17) Enver Ziy Karl, Osmanli Tarihi, Cilt. VII, (Ankara, 1988), S. 45.

(18)http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Ambassadors_of_Russia_to_Austria.

(١٩) ولد الكونت جولا اندراسي في الثالث من آذار ١٨٢٣، في كاسا kassa، حالياً في هنغاريا، انتخب عام ١٨٦٥، نائباً لرئيس برلمان المجر، ثم اختير عام ١٨٦٦، رئيساً للجنة المفاوضات الخاصة والتي انبثق عنها تشكيل الحكم الثنائي (النمسا- المجر)، شغل منصب رئيس وزراء المجر ( ١٨٦٧- ١٨٧١)، ثم أصبح وزيراً لخارجية النمسا- المجر( ١٨٧١- ١٨٧٩) تركزت سياسته الخارجية في مد نفوذ النمسا- المجر في البلقان، توفي في الثامن عشر من شباط ١٨٩٠:

Encyclopedia Britannica, Vol. I, P.359.

(٢٠) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص١٧٧:

وللتفاصيل عن بنود تلك الاتفاقية، انظر:

The Austro – Russian Military Convention of 15 January 1877 and Additional Convention of 18 March 1877, Cited in M. S. Anderson, The Great Powers And The Near East 1774-1923, (London , 1970), PP. 9-14.

(٢١) أ. ج. ب. تايلور، المصدر السابق، ص ٣٤٢ .

(٢٢) ولد الأمير كارل فريدريش ايتل برينز فون هــوهنزولرن Prince Karl Eitel Friedrich Prinz Von Hohenzollern، في العشــرين مــن نيســان ١٨٣٩، في بروسيا، ينحدر من أسرة هوهنزولرن وهي الأسرة الحاكمة في بروسيا. تلقى تعليمه في درسيدن وبون، أصبح ضابطاً بسلاح المدفعية في الجيش البروسي، عرضت عليه الدول الأوربية الكبرى حكم رومانيا بعد الإطاحة بأميرها الكسندر ليون كوزا Alexandru Ioan Cuza. أصبح أميراً لرومانيــا فــي نيســان ١٨٦٦، بموجب الاستفتاء الشعبي، حصلت رومانيا في عهده على الاستقلال بموجب مقررات مؤتمر برلين ١٨٧٨، وفي عام ١٨٨١ابدل نظام الحكم إلى الملكية ونصب نفســه ملكاً على عرشها حتى وفاته في العاشر من تشرين الأول ١٩١٤:

http://en.wikipedia.org/wiki/Carol_I_of_Romania.

(٢٣) أجبرت الحكومة العثمانية في الحادي والثلاثــين مــن أيــار ١٨٦١، علــى الاعتراف بأمير واحد لإمارتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا، وفي الثاني مــن كــانون الأول من العام نفسه، اتخذت خطوة أخرى نحو الوحدة الرومانية عنــدما أصــدرت الحكومة العثمانية بالاتفاق مع القوى الأوربية الكبرى فرماناً ينص علــى تشــكيل برلمان موحد ووزارة واحدة على أن تكون مدينة بخارســت مقــرا لهمــا، وفــي ٢٣كانون الأول ١٨٦٣، اعن رسمياً توحيد الإمارتين تحت السيادة العثمانية، وبذلك تحققت أهم خطوة في تأسيس الدولة الرومانية الحديثة.

للمزيد من التفاصيل انظر:

M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP. Cit., PP. 150- 6.

(24) Convention between Roumania and Russia for regulating the passage of Russian Troops through Roumania. Signed at Bucharest, 16th April, 1877, Cited in Sir Edward Hertslet, The Map of Europe Treaty; Political and Territorial Changes Since The General Peace of 1814. Vol. IV. 1875 to 1891, (London, 1891), Doc., No. 485, P. 2576:

وســـنرمــز للــكـــتاب بـــــــ (T. M. E. T. P. T. )

(٢٥) ولد الأمير الكسندر ميخائيلوفيتش غورجاكوف Aleksandr Gorchakov Mikhailovich، في الخامس عشر من تموز ١٧٩٨، في سان بطرسبورغ لأسرة

نبيلة، دخل السلك الدبلوماسي بعد تخرجه عام ١٨١٧، أصبح عضوا الوفود الروسية التي شاركت في المؤتمرات الأوربية خلال الأعوام (١٨٢٠-١٨٢٢) عين سفيراً لبلاده في فيينا ١٨٥٤-١٨٥٦، في نيسان ١٨٥٦ تولى حقيبة الخارجية، رسم السياسة الخارجية الروسية لأكثر من خمسة وعشرون عاماً كان له الدور الاساس في إعادة مكانة روسيا التي تراجعت بعد حرب القرم، رقي إلى درجة مستشار الإمبراطورية عام ١٨٦٧، استقال من وزارة الخارجية عام ١٨٨٢، وتوفي في الحادي عشر من آذار ١٨٨٣ في بادن في ألمانيا ونقل جثمانه ليدفن في مسقط رأسه:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. IV, P. 633.

(26) T. M. E. T. P. T., Russian Circular, announcing that orders had been given the Russian Armies Cross the Frontiers of Turkey; and explaining the Causes of War. St. Peters burgh, 7/19 the April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 487, PP. 2586-7.

(٢٧) أ. ب. ج. تايلور ، المصدر السابق، ص ٣٤٣؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص٧٥؛

Anderson, OP. Cit., P. 156.

(٢٨) خاضت الدولة العثمانية خلال الأعوام ١٦٧٦- ١٨٧٨ عشرة حروب ضد روسيا وهي:

(١٦٧٦-١٦٨١)، (١٦٨٦-١٦٩٩)، (١٧١٠-١٧١٣)، (١٧٣٥-١٧٣٩)، (١٧٦٨-١٧٧٤)، (١٧٨٧-١٧٩١)، (١٨٠٦-١٨١٢)، (١٨٢٨-١٨٢٩)، (١٨٥٣-١٨٥٦)، (١٨٧٧-١٨٧٨):

نغم عبد الهادي مهدي حسن، مضيقا البسفور والدردنيل في الدبلوماسية الأوربية ١٨٥٣-١٨٧١ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠١٣، ص٤٩.

(29) R. W. Seton- Watson, Disraeli, Gladstone and the Eastern Question A Study in Diplomacy and Party Politics, ( London, Frank Cass and Co. LTD.1962), P. 17. وللتفاصيل عن الوضع المالي للدولة العثمانية انظر:طاهر يوسف عكاب الوائلي، إدارة الدين العام العثماني ١٨٨١-١٩٢٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الكوفة ١٩٩٩.

(30) T. M. E. T. P. T.,Turkish Circular, Appealing to the Treaty of Paris of 1856, and suggesting the Mediation of the Treaty Powers to prevent the threatened War with Russia. Constantinople, 24th April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 491, P. 2591.

(31) Ibid., Turkish protest against Russian Declaration of War and invasion of Turkish Territory without first appealing to the Mediation of the Treaty powers, Constantinople, 25th April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 492, P. 2600.

(٣٢) ولد أوغسطس وليام فريـــدريك سبنســـر لـــوفتس Augustus William Frederick Spencer Loftus، في الرابع من تشرين الأول ١٨١٧، في برسول Bristol في بريطانيا. دخل السلك الدبلوماسي في العشرين من عمـــره، إذ شـــغل مناص دبلوماسية في عدد من المفوضيات البريطانية لدى الإمارات الألمانية ثم رقي إلى درجة سفير، أصبح سفيراً لبلاده في بروسيا (١٨٦٥-١٨٦٨) ثم سفيرا لـــدى الاتحاد الكونفدرالي لشمال ألمانيا (١٨٦٨- ١٨٧١) وسفيراً في العاصمة الروسية سان بطرسبورغ (١٨٧١- ١٨٧٩) كما أصبح حاكماً لولاية نيوث ســـاوث ويلـــز Governor of New South Wales (١٨٧٩- ١٨٨٥) في استراليا. توفي في السابع من آذار ١٩٠٤:

The New Encyclopedia Britannica, Vol

M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP Cit., PP. 150- 6.

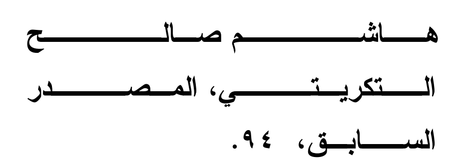
(33) Ibid., Despatch from the British Minister for Foreign Affairs to the British Ambassador at St. Peters burgh, recording the disapproval of the British Government of the Russian Invasion of Turkish Territory. London, 1st May, 1877, Vol. IV. Doc. No. 496, PP. 2607-9.

(34) Protocols of Conferences held in London Respecting the Treaty of 30 March 1856, Accounts and Papers, 1871, Vol. LXXII, Protocol. Annex in Protocol. No.1, Sitting of 17 January, 1871, P.7.

(35) Lobanov– Rostovsky, Russia and Europe 1825-1878, (Michigan, 1954), P. 273.

(36) H. Seton -Watson, The Russian Empire 1801-1917,(Oxford University press,1967), P. 275.

(37) M. D. Stojanovic, The Great Powers and the Balkans 1875-1878, (London, 1968), P.152.
(38) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 273.
(39) Tsonko Genov, The Russo- Turkish War 1877-1878 and the Liberation of Bulgaria, (Sofia , N. D.), P. 37.
(40) F. V. Greene Lieutenanat, Report on the Russian Army and its Campaigns in Turkey in 1877 -1878, (New York, 1879), P. 40.
(41) Setone– Watson , The Russian Empire…, p.453.
(42) Barbara Jelavich, St. Petersburg and Moscow Tsarist and Soviet Foreign Policy, 1814-1974, (Indian University Press, 1974), p. 181.
(43) Ibid., OP. Cit., P.181.
(44) Lieutenant, OP. Cit., P. 183.
(٤٥) يبيفانوف، فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيري الضامن ونقولا طويل، (موسكو، دار التقدم ، د،ت)، ص٤٠١.
(46) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 274.
(47) Lieutenant, OP. Cit., PP. 180-3.
(٤٨) محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص١٨٩.
(49) Seton– Watson, The Russian Empire..., P.455; W. Miller, The Ottoman Empire and its successors 1801-1927 (London, 1966), P. 373.
(50) Lieutenant, OP. Cit., P. 261; Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., P. 281; Seton – Watson , The Russian Empire..., P.456.
محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص١٩٠.
(51) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 274. ; Seton – Watson, The Russian Empire..., P.455.
(٥٢) يبيفانوف، فيدوسوف، المصدر السابق، ص٤٠٤.
(53) Setone – Watson, The Russian Empire…, P. 456.
(54) Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., P. 282.
(55) Lieutenant, OP. Cit., PP. 353-366.
(56) Stone – Watson, The Russian Empire…, P .456.
(57) Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., PP. 287-8.
(58) T. M. E. T. P. T., Preliminary bases of Peace between Russia, &. C., and Turkey. Signed at Adrianople, 31St. January, 1878, Doc., NO. 514., Vol. IV., P. 2659; Anderson, The Eastern Question…, P. 200;



هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ٩٤.

(٥٩) Barbara Jelavich, The Ottoman Empire the Great Powers and the Straits Question 1870-1887, (Indiana University Press, 1973), P.94.

(٦٠) Coleman Phillipson and Noel Buxton, The Question of the Bosphours and Dardanelles, (London, 1917), P.138.

(٦١) D. E. Lee, Great Britain and the Cyprus Convention Policy of 1878, (Harvard University Press, 1934), PP. 49-50.

(٦٢) T. M. E. T. P. T., Depatch from the Earl of Derby to Count Schouvaloff, defining British Interests in the East, Foreign Office, 6th May, 1877. Vol. IV. Doc. N0. 499, P. 2616.

(٦٣) Ibid.,

(٦٤) ولد الكونت بول اندريفيج شوفالوف Count Paul Andreevich Shuvalov في ٢٧ تموز ١٨٤٥ لاسرة روسية نبيلة، اشترك في حرب القرم، ثم شارك في الوفد المفاوض في مؤتمر السلام في باريس ١٨٥٦، عين في عام ١٨٧٤ سفيراً لبلاده في لندن مثل روسيا في مؤتمر برلين ١٨٧٨، اعفي من منصبه عام ١٨٧٩. توفي في ٢٢آذار ١٨٨٩:

Encyclopedia Britannica, Vol. 20, P. 459 .

(65) L. S. Sravrianos, The Balkans Since 1453, (New York, 1958), PP.406-7;

هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(66) Serge Goriainov, Le Bosphore Et Les Dardanelles Étude Historlque Sur La Question Détroits, Préface De M. Gabriel Hanotaux, (Paris, 1910), PP. 349 – 350.

(67) Spuler, OP. Cit., Vol. 2. P.595.

(68) T. M. E. T. P. T., Despatch from the Russian Ministers for Foreign Affairs to the Russian Ambassador in London, relative to British and Russian Interests in the East. St. Pertersburgh, 18/30th May, 1877, Vol. IV. Doc. No. 501, PP.2624-5.

(69) Ibid., P. 2625.

(70) Ibid.,

(71) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P.139.

(72) Goriainov, OP. Cit., P.350; Ibid.,

(73) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P.139.
(74) Ibid.,
(75) Ibid.,
(76) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 96.
(77) Seton Watson, Disraeli, Gladstone…, P. 237.
(78) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 96.
(79) Phillipson and Buxton , OP. Cit., P. 141

(٨٠) ملكة بريطانيا وايرلندا وإمبراطورة الهند، ولدت في العشرين من أيار ١٨١٩ في لندن، وهي الابنة الوحيدة لادوارد دوق كنت Kent، ورثت عرش عمها الملك وليم الرابع William IV عام ١٨٣٧، تولت العرش في الثاني من حزيران من العام نفسه، وتوجت في الثامن والعشرين من حزيران ١٨٣٨، تزوجت في العاشر من شباط ١٨٤٠ من ابن خالها الأمير ألبرت، سمي عهدها بـ الفكتوري (١٨٣٨-١٩٠١) توفيت في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٠١:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. X, P.421.

(٨١) سياسي ودبلوماسي بريطاني، رحالة ومكتشف وعالم بتنقيب الآثار، لاسيما في الآشوريات، ولد في الخامس من آذار ١٨١٧، في باريس، ينحدر من أسرة فرنسية. كان له الفضل في اكتشاف الكثير من آثار مدن بلاد النهرين، آذ اشتهر باكتشافه لآثار النمرود ونينوى، لعل من أهم تلك الاكتشافات تمثال الملك آشور ناصر بال الثاني والثور المجنح، فضلاً عن الكثير من الكنوز المحفوظة في المتحف البريطاني، قضى طفولته في ايطاليا وتلقى تعليمه في بريطانيا وفرنسا وسويسرا، أصبح وكيلا لوزارة الخارجية لمرتين، الأولى عام ١٨٥٢ ؛ والثانية خلال الأعوام ١٨٦١- ١٨٦٦، كما أصبح سفيراً في العاصمة العثمانية خلال الأعوام ١٨٧٧- ١٨٨٠. توفي في الخامس من تموز ١٨٩٤:

Ibid., Vol. VI, PP.94-5.

(82) Seton- Watson, Disraeli, Gladstone..., PP. 221-2; H. W. N. Temperley and L. M. Penson, Foundations of British Foreign Policy 1792- 1902, (London, 1966), P.361.

(٨٣) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق ، ص ١٦٧.

(84) L. Q. V., Queen Victoria to Beaconsfield, Windsor, Castle, 13, December Vol. II, P. 576.

(٨٥) هاشم صالح التكريتي ــ المصدر السابق ، ص٨٥؛

Philipson and Buxton, OP. Cit., P.141.

(86) T. M. E. T. P. T., Memorandum Communicated by the Earl of Derby to Count Schuraloff, respecting the non–occupation of Constantinople or Dardanelles by Russian Forces, London , 13th December, 1877, Vol. IV. Doc. No.507, pp.2664-7.

(87) T. M. E. T. P. T., Despatch from Prince Gortschakov to Count schouvaloff, in reply to the British memorandum respecting the possible occupation of Constantinople by Russia Troops. St. petersburgh, 16th December, 1877, Vol. IV, Doc., No. 510, PP.2653-5.

(88) Philipson and Buxton, Op. Cit., P. 141.

(89) Ibid.,

(90) Jelavich, The Ottoman Empire.., P. 96.

(91)T. M. E. T. P. T., Memorandum sent by Prince Gortchakov to Lord A. Loftus respecting the Non-occupation of Gallipoli by British or Russian Troops. St, Petersburgh, 3rd/15th January, 1878, Vol. IV, Doc., No. 510, P. 2656.

(٩٢) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(93) L. Q. V., Queen Victoria to Beaconsfield, Windsor, Castle, 13, December Vol. II, P. 576.

(٩٤)سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد آرثر روبرت تالبوت- جاسكوين سيسيل، الشهير باللورد سالزبوري المركيز الثالث Robert Arthur Talbot Gascoyne- Cecil, 3rd Marquess of Salisbury، في الثالث من شباط ١٨٣٠، دخل مجلس العموم البريطاني عن حزب المحافظين في آب ١٨٥٣، اصبح وزيراً لشؤون الهند لمرتين (١٨٦٦- ١٨٦٧)، (١٨٧٤- ١٨٧٨) خلف اللورد دربي في وزارة الخارجية (١٨٧٨- ١٨٨٠)، أصبح زعيماً لحزب المحافظين بعد وفاة دزرائيلي، ترأس الحكومة البريطانية لمرات ثلاث، (١٨٨٥- ١٨٨٦)، (١٨٨٦- ١٨٩٢)، (١٨٩٥- ١٩٠٢). توفي في الثاني والعشرين من آب ١٩٠٣:

http://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Gascoyne

(٩٥) نقلاً عن محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٩٦) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص ١٧٣؛

Arthur J. Marder, "British Naval Policy in 1878", Journal of Modern History, No. XII, (Sep., 1940) , P.368.

(97) Beaconsfield to Layard, Foreign Office, 12 January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 53.

(98) Jelavich, The Ottoman Empire.., P. 97.

(٩٩) ولد في أيلول ١٨٤٢، وتسنم الحكم في ٣١اب ١٨٧٦، بعد عزل السلطان مراد الخامس، وبذلك أصبح السلطان الرابع والثلاثي من سلاطين الدولة العثمانية، شهد بداية عهده اندلاع الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، عزل في ٢٧ نيسان ١٩٠٩، من قبل جماعة الاتحاد والترقي، وتوفي ١٠ شباط ١٩١٨. للتفاصيل: أنيس عبد الخالق محمود القيسي، السلطان عبد الحميد الثاني والأطماع الصهيونية (١٨٧٦- ١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨. ص ص٣٦-٤٧.

(100) Jelavich, The Ottoman Empire.., P. 97.

(١٠١) لقد خضعت المضائق العثمانية (البسفسور والدردنيل) للقانون الدولي العام، بموجب اتفاقية لندن للمضائق، Convention London لعام ١٨٤١، التي بمقتضاها منع مرور السفن للدول الأجنبية من خلال البسفور والدردنيل في أوقات السلم. وقد تم تأكيد هذا المبدأ بموجب المادة العاشرة الفقرة (أ) من معاهدة باريس للسلام ١٨٥٦، واتفاقية لندن لعام ١٨٧١ الخاصة بمراجعة بنود معاهدة باريس: للمزيد من التفاصيل انظر:-

نغم عبد الهادي مهدي حسن، المصدر السابق، ص ص٤٥-٤٦، ١٨٩،٢٣٨.

(102) Jelavich, The Ottoman Empire.., P. 97.

(103) Seton – Watson , Disraeli, Gladstone…, PP.266-9.

(104) Quoted in Jelavich, The Ottoman Empire.., P. 98.

(105) Layard to Derby, Constantinople, 27, January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 122.

(106) Seton– Watson , Disraeli, Gladstone…, PP.266-9.

(١٠٧) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦)، ٢٥٤.

(108) Derby to Layard , Foreign Office, 24 January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 97.
(109) Stone– Watson, The Russian Empire…, P .457.
(110) T. M. E. T. P. T., Memorandum handed by the British Ambassador at St. Petersbrugh to Prince Gortcakow, as to the invalidity of any separate Treaty which might be concluded between Russia and Turkey . St. Petersburgh, 15 th January , 1878, Doc. No. 513, Vol. IV, P . 2657.
(١١١) دبلوماسي روسي ولد عام ١٨٣٧، درس القانون واللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبورغ، دخل السلك الدبلوماسي وأصبح مسؤولاً عن قسم السفارات الشرقية في وزارة الخارجية الروسية، ومستشاراً للسفارة الروسية في اسطنبول خلال الأعوام (١٨٧٢– ١٨٧٥)، والمستشار السياسي للدوق نيكولاس في الحرب الروسية– العثمانية (١٨٧٧– ١٨٧٨) كان احد المفاوضات بين روسيا والدولة العثمانية التي أدت إلى إبرام معاهدة السلام في سان ستيفانو. عين سفيراً في روما (١٨٩٧– ١٩٠٣)، وسفيراً في باريس ( ١٩٠٣– ١٩١٠). توفي في السابع عشر من أيلول ١٩١٠:
http://en.wikipedia.org/wiki/Aleksandr_Nelidov
M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP Cit., PP. 150- 6.
(112) Goriainow, OP. Cit., P.355; Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.
(113) Quoted in Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.
(114) Gorianinov, OP. Cit., P. 356.
(115) Sir J. Headlam- Morley, Studies in Diplomatic History, (London, 1930), P. 229
(١١٦) ولد وليم فردريك لودويج William Friedrich Ludwig في الثاني والعشرين من آذار ١٧٩٧، في برلين، هو ملك بروسيا وإمبراطور ألمانيا، أصبح وليا لعهد بروسيا عندما توج أخوه فردريك وليم الرابع ملك على عرش بروسيا، ثم وصيا على العرش عام ١٨٥٨ بسبب مرض أخيه، توج ملك لبروسيا (١٨٦١–١٨٧١) توج إمبراطوراً للرايخ الثاني عام ١٨٧١ بعد إعلان وحدة ألمانيا في قاعة المرايا في باريس توفي في التاسع من آذار ١٨٨٨:

The New Encyclopaedia Britannica, Vol. X, PP. 678-9.
(117) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.
(118) Ibid.,
(119) Ibid., P.144; Goriainov, OP. Cit., P. 357.
(120) Jelavich, The Ottoman Empire …, P.97.
(121) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص٩٢.
(122) Jelavich, The Ottoman Empire…, PP. 97-8.
(123) Ibid., P. 98.
(124) Ibid.,
(125) Ibid.,
(126) Quoted in B.H. Sumner, Russia and the Balkans, 1870-1880, ( Oxford University Press, 1937), P.625.
(127) T. M. E. T. P. T., Preliminary bases of peace between Russia, &.c., and Turkey , Signed at Adrianople, 31 st January, 1878., Doc., NO. 514, Vol., IV, P. 2659; Labanov– Rostovsky, Op. Cit., p. 291.
(128) Jelavich, The Ottoman Empire…, P. 98.
(129) Philipson, and Buxton, Op. Cit., P. 145.
(١٣٠) هـ. أ. ل. فشر ،تاريخ أوربا الحديث في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ( القاهرة، ١٩٧٢)، ص٢٠٧؛ محسن حسن حمزة العبيدي ، المصدر السابق، ص٢٠٥.
(١٣١) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص٦٩٢؛ أ. ج. جراند، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩- ١٩٥٠، ترجمة: محمد علي أبو درّة ولويس اسكندر، مراجعة احمد عزت عبد الكريم، ( القاهرة، ١٩٦٧)، ص١٩.
Clayton, OP. Cit., P. 141; Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 145.
(132) Jelavich, The Ottoman Empire..., PP. 98-9.
(133) Ibid., PP. 99-100.
(134) Clayton, OP. Cit, p. 141.
(135) Jelavich, The Ottoman Empire…, P. 99.
(136) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص ٩٧؛
Anderson , The Eastern Question…, P. 200.
(137) Jelavich, The Ottoman Empire…, P. 99.
(138) Spuler, OP. Cit., Vol. 2, P. 527.
(139) Quoted in Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 99.

(140) Ibid., P. 100.
(141) Ibid.,
(142) Ibid., P.101.
(143) Ibid.,
(144) Clayton., OP. Cit., P.141.
(145) Quoted in Jeacvich, The Ottoman Empire…, P. 101.
(146) Ibid., P. 102.
(147) Quoted in Ibid.,
(148) Ibid.,
(149) Ibid.,
(150) Quoted in Ibid.,
(151) Sumner, OP. Cit., Vol. 2, P. 385.
(152) Seton– Watson, Disraeli, Gladstone…, PP . 321- 2.
(153) Foreign Office, 16 February, 1878, F. O.195/ 1166, NO. X/ J 6985.
(154) Seton– Watson, Disraeli, Gladstone…, PP . 321- 2.
(155) Foreign Office, 16 February, 1878, F. O. 195/ 1166, NO. X/ J 6985.
(156) Ibid.,
(157) Yakthan Sadoun Al- Amir, British Reaction to Germanys Ottoman Policy 1870- 1885, Vol. I, Unpublished Ph. D. Thesis, (University of Bradford, Britain, 1978), P.122.
(158) Beaconsfield to Queen Victoria, 10 Downing Street, 16 February, 1878, in The Life of Benjamin Disraeli Earl of Beaconsfield, George Earle Buckle, Vol. VI, 1876-1881, ( New York, The Macmillan Company, 1920), PP. 248- 9.
(159) Al- Amir, OP. Cit., Vol. I, P. 123.
(160) Goriainov, OP. Cit., PP. 369- 70 .
(161) Seton– Watson , Disraeli, Gladstone…, P.317.
(162) Quoted in Jelavich , The Ottoman Empire.., p. 105.
(163) Quoted in Philipson, and Buxton, OP. Cit., P. 145.
(164) T. M. E. T. P. T., Memorandum sent by Prince Gortchakov to Lord A. Loftus respecting the Non-occupation of Gallipoli by British or Russian Troops. St, Petersburgh, 3rd/15th January, 1878, Vol. IV, Doc., No. 510, P. 2656.
(165) Jelavich , The Ottoman Empire.., P. 105.
(166) Ibid., P.106.
(167) T. M. E. T. P. T., Count Schouvaloff to the Earl of Derby. London, 6/18 February,1878, NO. 1, Engagement of the Russian Government not to occupy Gallipoli or the Lines of Bulaïr, and of the British and Russian Governments not to occupy the Straits or

the Asiatic Shores of the Dardanelles. London, 18th/ 21st February, 1878, Doc. No. 517, Vol. IV, P. 2670.

**(168)F. O. 16 February, 1878, F. O. 195/ 1166, NO. X/ J 6985.**
**(169) Jelavich , The Ottoman Empire.., P. 106.**

**(١٧٠) خليج مودانيا نسبة إلى المدينة التي تطل على الخليج في بحر مرمرة في الجزء الآسيوي التركي، حاليا محافظة تركية.**

**(171) Ibid., P. 105.**

**(١٧٢) عسكري ورجل ودولة روسي ولد دميترتي ميليوتين Dmitry Milyutin في العاشر من تموز عام ١٨١٦، في موسكو، وتخرج من الأكاديمية العسكرية عام ١٨٣٦، خدم في القوقاز خلال الأعوام (١٨٣٧-١٨٤٥) ثم أصبح أستاذا في الأكاديمية العسكرية عام ١٨٥٦، اختاره القيصر الكسندر الثاني وزيراً للحرب للأعوام (١٨٦١- ١٨٨١) قام بإصلاح المؤسسة العسكرية إذ فرض التعليم الابتدائي على منسوبي الجيش الروسي، وبتوصية منه وافق القيصر عام ١٨٧٤، باعتماد نظام الخدمة الإلزامية للذكور ممن بلغوا سن العشرين سنة، توفي في السابع من شباط عام ١٩١٢:**

**http://en.wikipedia.org/wiki/Dmitry_Milyutin**
**(173) Ibid., P. 106.**
**(174) Goriainov, OP. Cit., P.368.**
**(175) Jelavich , The Ottoman Empire.., P. 106.**
**(176) Stojanovic, OP. Cit., PP.211- 2; Anderson , The Eastern Question …, PP. 201-2.**
**(177) Jelavich , The Ottoman Empire.., P. 106.**
**(178) Ibid., P. 106.**

**(١٧٩) ولد الكونت اغناتييف في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٨٣٢، في سان بطرسبورغ، عسكري ودبلوماسي روسي تخرج من كلية الأركان في سان بطرسبورغ وتدرج في الجيش حتى اصبح برتبة جنرال، ثم انتقل بعدها للعمل الدبلوماسي، إذ شارك في إعادة ترسيم الحدود الروسي- العثمانية بعد حرب القرم، كما عين ملحقاً عسكرياً في لندن، وسفيراً في العاصمة العثمانية (١٨٦٤-١٨٧٧) شارك في إعداد معاهدة سان ستيفانو ١٨٧٨، عين وزيرا للداخلية (١٨٨١-١٨٨٢) توفي في الثالث من حزيران ١٩٠٨:**

**http://en.wikipedia.org/wiki/Nikolay_Pavlovich_Ignatyev**

**(180) Quoted in Jeacvich, The Ottoman Empire…, P. 107.**